بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٦٣ ـ رمضان ١٤٣٣هجرية قمرية

مرداد ١٣٩١هجرية شمسية /اغسطس (آب) ٢٠١٢

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران –طهران –ص. ب: ٦٩٩٥– ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني: info@taghrib.ir

الطباعة: حسين المندلاوي / على حروف (**قلم برتر**) خاص بالنشر المحترف

النسخة رقم (٢) من www.MaryamSoft.com

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة :

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.IranArab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤ . ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ . المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٦٣

تعيين سماحة آية الله الشيخ محسن الأراكي أمينًا عامًا ٤
من توجيهات السيد القائد ٦
كلمة إلى القرّاء ٩
الإمام الخميني وحركة الصحوة الإسلامية ١٤
ثورة الإمام الخميني المصادر التاريخية والتجديد الإسلامي ٤٠
فلسطين في خطاب الإمام الخميني ٤٥
مثلث الشاه وأمريكا وإسرائيل في خطاب الإمام الخميني ٧٢
الإمام الخميني الفرصة والتحدي ٧٩
التوازن في نهج الإمام الخميني ٨٢
حوافز في خطاب الإمام الخميني تجاه القضية الفلسطينية ٨٥
وجيه غارودي الرجل الصادق مع نفسه ومع وجدانه ٩٤
اتقوا الله في العراق ٩٨
ضرورات الدين والمذهب عند الشيعة الإمامية ١٠١
التقريب بين المذاهب الإسلامية ودراسة علم التوحيد ١٠٦
مهرجان قرآني كبير في شهر القرآن ١١٤
حزب الله يدعو لإنقاذ المسجد الأقصى ١٢٠

تعيين سماحة آية الله الشيخ
محسن الأراكي أمينًا عامًا
للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

أصدر السيد القائد في العاشر من يوليو تموز الجاري حكمًا عين فيه فضيلة الشيخ محسن الاراكي أميناً عامًا للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية كما عين فضيلة الشيخ التسخيري مستشارًا رفيعًا لشؤون العالم الإسلامي.

وهذا نصّ الحكم:

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب حجة الاسلام والمسلمين الحاج الشيخ محسن الأراكي دامت توفيقاته

إثر استقالة جناب حجة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ محمد علي التسخيري بعد عقد من المساعي الحميدة من سمة الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ونظرًا لاقتراح المجلس الأعلى للمجمع، فإنني أعين جنابكم بما تتمتعون به والحمد لله من تجارب علمية وعملية وافرة أمينًا عامًا لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية.

في ظروف دفعت فيه الصحوة الإسلامية وما أعقبها من تطوّرات مدهشة العالمَ الإسلامي إلى مستوى واحد من أكثرمقاطع التاريخ حساسية، فإن وحدةَ الأمة الإسلامية وتقريبَ المذاهب الإسلامية هو محورٌأساسي لتحقيق وصيانة انتصارات هذه الحركة المباركة. من جانب آخر، أعداء الإسلام وأباطرة الكفروالنفاق بزعامة أمريكا و إسرائيل يستهدفون تبديل معادلة الجهاد والمقاومة بمشروع التكفيرواغتيال أبناء الإسلام، وبعبارة واحدة يفرضون على العالم الإسلامي حربًا شيعية ـ سنية لتكون الشغل الشاغل للشعوب الإسلامية، ظانين أنهم عن هذا الطريق يسيطرون على المقدرات المادية والمعنوية للعالم الإسلامي.

المنتظرمن مجمع تقريب المذاهب الإسلامية في هذه البرهة الخطيرة والحساسة أن يستثمرالتجارب القيمة السابقة وأن ينطلق بخلاّقية وابتكاريتناسب مع الظروف الراهنة، وبمساعدة ومعاضدة نخب العالم الإسلامي وخاصة علماء الحوزة والجامعة ليرسم في الأفق «دبلوماسية الوحدة الإسلامية» باعتبارها هدفًا استراتيجيًا وأن يضع أسس إقامة الأمة الإسلامية الواحدة مقابل معسكر الاستكبار.

أسأل الله تعالى التوفيق لكم ولسائرالعاملين معكم.

سيد علي خامنئي

٢٠/تير/١٣٩١هجرية شمسية

٢٠١٢/٧/١٠م

من توجيهات السيد القائد
في مستهلّ شهر رمضان المبارك

على العادة في كل عام جلس السيد القائد الإمام الخامنئي في أول يوم من شهررمضان المبارك مع القرّاء والحفاّظ ليستمع إلى قراءاتهم ويعلّق عليها تشجيعًا أو توجيهًا، واستمرت الجلسة أكثرمن خمس ساعات عصرًا، واتصلت بمائدة إفطار جلس فيها أيضًا السيد القائد مع ضيوفه.

وفي جلسة هذا العام أطلق سماحته توجيهات قرآنية قيمة نقتطف منها ما يلي:

* نحمد الله سبحانه من أعماقنا على أن منّ علينا وعلى شعبنا بهذه الأجواء القرآنية التي نتلمّس فيه تفاعل المستمعين مع كتاب الله العزيز.

* الأصوات القرآنية الجميلة لها الأثرالكبيرفي دخول القرآن إلى أعماق القلوب والمشاعر.

* إذا اقترنت العاطفة القرآنية بالفكروالعقيدة فإنها ستتبلورفي شكل حركة عملية قرآنية.

* إذا اقترن الجانب العقلي بالجانب العاطفي فإن ذلك سينتج

الحبّ والعشق، وبذلك نتغلب على كل مشاكلنها.

* نشهد تقدّم شعبنا في مجال الارتباط بالقرآن، وهذا ما يثلج الصدرويبعث البهجة في النفوس.

* الأنس بالقرآن يوفّرالمقدمات اللازمة للتدبرفي القرآن والتفكير في معارفه.

* لو تدبرنا في القرآن لوجدنا فيه كل ما تحتاجه البشرية المعاصرة لحل مشاكلها.

* العزّة في ظل القرآن، ورغد العيش في ظل القرآن، والتقدم المادي والمعنوي في ظل القرآن، والأخلاق الفاضلة في ظل القرآن، والانتصارعلى الأعداء في ظل القرآن، لو أدركنا نحن المسلمين هذه الحقائق بالشكل الصحيح، وبذلنا الجهد لتحقيق هذه الأهداف فإن ذلك سيعود علينا بالنفع العميم.

* مشكلة شعوب العالم تتمثل في أن القوى المهيمنة تتبنى نظرة مادية للحياة لا مجال للمعنويات فيها. وهذه النظرة هي التي جلبت الويلات على البشرية. فالحضارة الغربية استثمرت العلوم للقضاء على حضارت الشعوب ومصادرة ثرواتها المادية والمعنوية.

* حينما لا تكون ثمة معنويات فلات ثمة أخلاق، وما يدّعوه من أخلاق فهو زائف لا حقيقة له.ربما نرى بعض القيم الأخلاقية في رواياتهم وأفلامهم، لكن الواقع خالٍ من منهج أخلاقي.

* في بورما اليوم يذبح آلاف المسلمين بدافع العصبية والجهل، وقد

تكون هناك دوافع سياسيّة، فلم ينبسوا ببنت شفة تجاه هذه المجازر، بينما يقيمون الدنيا ويقعدوها تجاه أدنى حدث في البلدان الخارجة عن هيمنتهم.

* يدعون أن هؤلاء المسلمين ليس بورميين أصيلين، لنقترض صحة هذا الادعاء ،هل يبرر ذلك قتل آلاف النساء والأطفال والرجال بسبب هجرة آبائهم قبل قرون إلى بورما؟!

* هدفنا ودعوتنا أن نقيم حضارة تستند إلى المعنوية و إلى الله والوحي الإلهي والهداية الإلهية. هذه الحضارة هي هدف مسيرتنا، والصحوة الإسلامية تبشّر بقرب تحقق هذا الهدف والحمد لله.

في ظروف دفعت فيه الصحوة الإسلامية وما أعقبها من تطوّرات مدهشة العالمَ الإسلامي الى مستوى واحد من أكثر مقاطع التاريخ حساسية، فإن وحدةَ الأمة الإسلامية وتقريبَ المذاهب الإسلامية هو محورٌ أساسي لتحقيق وصيانة انتصارات هذه الحركة المباركة. من جانب آخر، أعداء الإسلام وأباطرة الكفر والنفاق بزعامة أمريكا و إسرائيل يستهدفون تبديل معادلة الجهاد والمقاومة بمشروع الفكير واغتيال أبناء الإسلام، وبعبارة واحدة يفرضون على العالم الإسلامي حربًا شيعية ـ سنية لتكون الشغل الشاغل للشعوب الإسلامية، ظانين أنهم عن هذا الطريق يسيطرون على المقدرات المادية والمعنوية للعالم الإسلامي.

الإمام الخامنئي

كلمة إلى القرّاء

التحرير

قبل صدور هذا العدد عيّن السيد القائد الإمام الخامنئي آية الله الشيخ محسن الأراكي أمينًا عامًا للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، خلفًا لسماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري. والشيخ الأراكي مجتهد وعالم دين إسلامي، مؤسس المركز الإسلامي في بريطانيا، عضو سابق في مجلس خبراء القيادة في إيران، ومن تلامذة المفكر والعالم الإسلامي الكبير الشهيد محمد باقر الصدر. ولعل القرّاء الكرام يقفون لاحقًا أكثر على أفكاره وآرائه في مسائل وحدة الأمة وقضاياها المصيرية.

يأتي هذا التعيين بعد أن رأت القيادة الإسلامية تفريغ الشيخ التسخيري من المهام الإدارية وتكريس جهوده لمهام المستشار الأعلى للسيد القائد في شؤون العالم الإسلامي.

في حكم الإمام القائد للشيخ الأراكي إشارات هامّة لواقعنا الراهن ولحركتنا المستقبلية فيما يرتبط بوحدة الأمة وصحوتها وحركتها نقف عند مقاطع منها:

جاء في النص: إن الصحوة الإسلامية وما أعقبها من تطورات مدهشة دفعت العالم الإسلامي إلى مستوى واحد من أكثر مقاطع التاريخ حساسيّة.

هذه الحقيقة التي يشير إليها القائد نرى مظاهرها في المخاض الكبير الذي تعيشه الأمة اليوم عقب حركة الصحوة، فهو مخاض نرى فيه اختراقات ونرى فيه أحياناً احباطات، كما نرى فيه مساع لتحويله إلى مواجهات فكرية وطائفية وقومية، واليد الأمريكية والغربيّة واضحة في هذه المحاولات خاصة في إبعاد الصحوة عن طبيعتها الإسلامية الإنسانية الشعبية الأصيلة.

وتجاه هذه التحديات التي تواجه الأمة فإن الفرصة الوحيدة لتجاوزها هو الاتفاق على مبادئ أساسية متفق عليها، والالتزام بهذه المبادئ، وأهمها:

١ – العودة إلى هوية الأمة وجذورها الفكرية والعقائدية والعاطفية، والابتعاد عن الهزيمة النفسية التي خلقتها في مجتمعاتنا عصور الهزيمة والانحطاط.

٢- تقديم مشروعنا الحضاري بلغة العصر وبمستوى متطلبات العصر، ووضع الأمة أمام هدفها الحضاري الكبير وخلق الأجواء اللازمة للحركة نحو هذا الهدف.

٣- إحياء روح الأمة الإسلامية الواحدة، ومكافحة العصبيات القومية والطائفية.

٤- خلق روح الحواروقبول الآخروالالتزام بمبدأ «نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذربعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

هذه المبادئ بأجمعها تشكل مقدمات أساسية لوحدة الأمة وتقارب فصائلها ومذاهبها.

من هنا فإن حكم القيادة يرى أن هذه الظروف الحساسة تتطلب وحدة الأمة الإسلامية وتقريب المذاهب الإسلامية باعتبارها محوراً أساسياً لتحقيق وصيانة انتصارات هذه الحركة المباركة.

وثمة إشارة أخرى في ذلك النص إلى مسألة هامة، وهي محاولت تغييرطابع المواجهة الحقيقية لنضال الأمة من مواجهة بين الأمة وعوامل ضعفها وتخلفها وتمزّقها وقوى الهيمنة المسيطرة على مقدراتها، إلى مواجهات داخلية طائفية منفعلة متحجّرة. يقول:

«من جانب آخرأعداء الإسلام وأباطرة الكفروالنفاق بزعامة أمريكا و إسرائيل يستهدفون تبديل معادلة الجهاد والمقاومة بمشروع التكفيرواغتيال أبناء الإسلام، وبعبارة واحدة يفرضون على العالم الإسلامي حربًا شيعية ـ سنية لتكون الشغل الشاغل للشعوب الإسلامية، ظانين أنهم عن هذا الطريق يسيطرون على المقدرات

المادية والمعنوية للعالم الإسلامي».

ويضع السيد القائد في هذا النص المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية أمام مسؤولياته في هذه الظروف الحساسة وهي:

١ - «أن يستثمر التجارب القيمة السابقة» وهي تجارب طويلة تمتد على الأقل لقرن من الزمان كما استعرضها كتاب «مسيرة التقريب». وفيها تجارب العلماء والمفكرين والكتاب والمؤسسات.. لابدّ من دراسة هذه التجارب والاستفادة مما حققته من نجاحات وما عانته من إخفاقات.

٢ - «أن ينطلق بخلاّقية وابتكاريتناسب مع الظروف الراهنة» فالاستفادة من التجارب السابقة لا يعني الوقوف عندها أو تقليدها، بل أن تكون ثمة «خلاّقية» وأن يكون هناك «ابتكار». فالموقف يستلزم وضع خطط جديدة مبتكرة نافذة قائمة على أسس مدروسة ومتناسبة مع الظروف الراهنة.

٣- أن يكون ثمة تعاضد وتساند في هذا المجال بين نخب العالم الإسلامي وخاصة علماء الحوزة والجامعة.. أي أن لا يكون المشروع العملي وليدَ فكرِ شخصية واحدة، أو مؤسسة واحدة، بل لابدّ من استثمارما تنتجه قرائح واجتهادات جميع النخب المثقفة الواعية من علماء حوزة وجامعيين.

٤- أن تكون حصيلة كل ذلك رسم «دبلوماسية الوحدة الإسلامية» وهذا اصطلاح جديد في ساحة العمل الإسلامي له دلالاته الهامة على توجّه القيادة الإسلامية تجاه العالم الإسلامي.

والدبلوماسية في الاصطلاح السياسي بذل المساعي والجهود من أجل إحلال التفاهم والتعاون بين الدول لدرء حدوث أزمات أو حروب. وعندما ننتقل إلى مصطلح ديبلوماسية الوحدة الإسلامية فإنه يعني إقامة حوارمستمرلإزالة الأوهام والحساسيات التي تعكّرصفو الوحدة، ولسدّ الثغرات أمام من تسوّل له نفسه أن يثيرالفتن في صفوف الأمة.

ويشيرنصّ القيادة إلى الجهة التي تتحرك نحو هذه الديبلوماسية إذ يقول: إن هذه الديبلوماسية هي أولاً «هدف استراتيجي» وهي ثانيًا تضع «أسس إقامة الأمة الإسلامية الواحدة مقابل معسكر الاستكبار».

وهي عبارة مقتضبة تحمل معانٍ كبيرة فيها النهج العملي وفيها الهدف، وفيها ما يجب أن تكون عليه ساحة المواجهة القادمة.

الإمام الخميني
وحركة الصحوة الإسلامية

محمد علي التسخيري*

حقيقة الصحوة

أمتنا الإسلامية مرت بفترات زمنية طويلة، عمتها غفوة، وشملها تخدير وضياع مقيت، يهتزله القلب ألمًا.

فالفهم الإسلامي الصحيح غير متوفر، إلاّ على صعد فردية محدودة المجالات، وحينئذ فمن الطبيعي أن لا تجد تعاليم الإسلام المحيية للنفوس مجالها الطبيعي المؤثر في القيام ببناء النفوس والمجتمع.

والتجزيئية؛ تعمل عملها الخبيث في تمزيق الفرد المسلم من كل الجهات، فهو ممزق في رؤيته الكونية، وقد أراد له الإسلام أن يتخذ رؤية واحدة تجاه الأشياء. وهو ممزق في شخصيته، حائر بين الالتزام بقوانين السماء والاتجاه مع الواقع الفاسد، والولاءات متعددة وآلهة التاريخ والتمدن، والعنصرية، والقومية، والوطنية، تمزق وجوده؛ هذه المفاهيم كلها سوف نشهدها في كلمات الإمام الخميني وهو

---

*-رئيس المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

يتحدث عن إيمانه بمستقبل الصحوة، ومظاهر الصحوة وثمارها، وعواملها وأسلوب ترشيدها والحفاظ عليها والأخطار التي تواجهها من قبل أعدائها.

فمن الظواهر التي أكدها الإمام الخميني في كلماته، وسعى بجد لتحقيق الإيمان بها في ذهن الجماهير؛ موضوع الإيمان بمستقبل الصحوة الإسلامية، بحيث لا تشوبه أية شائبة ولا يساوره أي شك في تحقيق هذا الغد المرتقب، وطبيعي أن الأمل الكبير يلعب دوره في تحريك الهمم نحو صنعه ويشد العزيمة على تحقيقه.

فنجده تارة يذكّر بالوعد الإلهي الذي لا يتخلف مطلقًا، باعتباره قاعدةً لهذا الأمل الكبير، فيقول في رسالته التي وجهها بمناسبة قيام الجمهورية الإسلامية وذلك بعد أشهر من نجاح الثورة الإسلامية:

«إن الله تعالى قد وعد بانتصار المستضعفين على المستكبرين بتوفيقه ووعده وجعلهم أئمة، وها هو الوعد الإلهي يقرب من تحققه، إننا لنأمل أن نشهد نحن هذا التحقق».[1]

وأخرى تنبأ بالانتصار حتى على القوى العظمى، فيقول في حديثه لمجموعة من أعضاء حركة أمل اللبنانية (أواخر عام ١٩٨٠):

«يجب أن نحذف من قاموسنا منطق الهزيمة القائل بأننا لا

١- *كلام الإمام* ج١، ص٢٤.

نستطيع الالتحام مع القوى الكبرى. إنكم إذا شئتم حققتم ما تريدون بإذن الله».[1]

ونجده (رحمه الله) تنبأ بسقوط المعسكرالشيوعي وانهياره بسرعة وذلك قبل تحقق هذا الانهيارالذي نشهده، فقد أرسل رسالته المشهورة لغورباتشوف في مطلع عام ١٩٨٩ وهي إحدى الرسائل النادرة التي بعثها إلى زعماء الدول، وقد قال له فيها بالحرف الواحد:

«إن البحث عن الشيوعية ينبغي أن يتوجّه من الآن فصاعدًا إلى متاحف التاريخ».[2]

وربما كانت هذه الرسالة من أعظم الوثائق التي تؤكد لنا أن المؤمن الصادق ينظربعين الله تعالى فيفتح الله له آفاق الحقيقة.

ومن ثم نجده (رضي الله عنه وأرضاه) يركزعنصرالإيمان بنمو الانتفاضة الإسلامية في كل مكان، ويبشردائمًا بانفتاح الآفاق أمام الصحوة بعون الله.

ففي عام ١٩٧٠ يجيب على رسالة للطلبة الجامعيين المسلمين في أوروبا فيقول:

«إنني ـ على الرغم من شيخوختي وعدم حصولي على ما كنت آمله ـ لآمل بكل ثقة أن تستمرشعلة هذه النهضة التي انطلقت في السنين الأخيرة بتأييد الله تعالى وأدت للتقارب بين العلماء والمثقفين».[3]

١- المصدرنفسه: ج١٥، ص٢٦١.

٢- مجلة التوحيد: العدد ٥٣، ص٧.

٣- *كلام الإمام*: ج٦، ص٢٨.

ويتحدث الإمام الخميني عن الثورة الإسلامية وانتصارها عام ١٩٧٩ فيقول:

«لقد تحقق ذلك على الرغم من الحسابات المادية التي كانت تطرح استحالة أن تنهار قوة تقف القوى كلها مساندة لها، وحتى الحكومات المنتسبة للإسلام أيضًا كانت تقف موقف الدعم لها ولكنها انهارت بالتالي».[١]

ويقول في كتابه *ولاية الفقيه* الذي كان الموجّه الكبير لقيام الثورة الإسلامية:

«أنت أيها الشعب إذا أصررت على الطريق المستقيم وقمت بالأمر فإنك ستمسك أزمة الأمر بيديك، وستصدر منك الأمور وإليك تعود، وإذا تحققت الحكومة التي أرادها الإسلام فإن الحكومات الفعلية في العالم لن تستطيع الوقوف أمامها».[٢]

ويقول أيضًا مخاطبًا الطلبة الجامعيين في أمريكا وكندا في ١٧/ رمضان/ ١٣٩٥هـ:

«إن نقطة الوضوح التي تزيدني في أواخر عمري أملًا تتركز في هذا الوعي واليقظة التي تسري في هذا الجيل الشاب، إنها روح سارية بكل سرعتها وهي بحول الله تعالى ستصل إلى نتائجها الحتمية فتقطع أيادي الأجانب وتبسط العدالة الإسلامية»[٣].

١- المصدر نفسه: ج١٥ ص٦٦.

٢- *كلام الإمام*: ج١٠ ص٣١.

٣- المصدر نفسه: ج١٠ ص٦٩، و*نداء الثورة*، ص١٩٨.

وفي بيان أصدره إلى عموم الشعب الإيراني في عام ١٩٧٢ ـ أي قبل سبع سنوات من الانتصار ـ يقول:

«إنكم تملكون طاقات شابة عظيمة تستطيع أن توصل الإسلام والبلاد إلى أوج العظمة والعزة وتقطع أيدي الجناة عن البلاد الإسلامية وبلدكم أنتم، تلك الطاقة التي لو بذلت في طريق الحق لتحولت إلى طاقة أبدية واتصلت بالقدرة الإلهية الأبدية... فاستيقظوا وأيقظوا الغافلين.. عودوا أحياءًا وامنحوا الحياة للأموات، وانطلقوا تحت لواء التوحيد لتطووا ملف الاستعمار بنوعيه الأحمر والأسود».[١]

ويقول في لقائه الضباط الباكستانيين أوائل عام ١٩٧٩:

«على المسلمين أن ينهضوا، فهم منتصرون في نهاية المطاف وسينتصرون.. وإن أمريكا لن تستطيع أن تقف في قبال المسلمين».[٢]

وهكذا نجده مطمئنًا واثقًا بمستقبل الصحوة الإسلامية، ساعيًا بكل قوة وبمنطق سليم لتعميق هذا الإيمان في نفوس أبنائه الثوار.

ومن غريب الأمر أن الاستعمار حاول أن يتغافل عمق الصحوة الإسلامية، ومدى اتساعها، بل الأغرب من ذلك أن نجد بعض المنتمين إلى المدرسة الرجعية يحاولون جاهدين إنكار حدوث صحوة إسلامية مطلقًا.[٣]

١- المصدر نفسه: ج١٠ ص٦٥ *الخميني والثورة* ص١٠٢.

٢- كلام الإمام: ج١٥ ص١٦٧.

٣- حاول بعض المفكرين أن يعلن ذلك بصراحة في مؤتمر الفكر الإسلامي في الجزائر فتم التصدي لدعوته وفضحها.

والإمام يعتبرهذه الغفلة الاستكبارية تغافلًا يجب على المسلمين أن يردوا عليه ردًا عمليًا.

فهو يقول في جوابه على الرسالة التي وجهتها إليه المنظمات التحررية في أنحاء العالم والتي عقدت اجتماعها في الجزائرأوائل عام ١٩٧٩ ما يلي:

«إننا نعد عدم إدراك عمق النهضة الإسلامية في العصرالحاضر والجيل المعاصرأحد الأخطاء الكبرى للسيد كارتروأمثاله، و إن على الشعوب الإسلامية ـ عبروحدتها الإيمانية المستمدة من الله ـ أن تخرج هؤلاء من غفلتهم.

فيا أيها المسلمون في أنحاء العالم ويا أيها المستضعفون الثائرون، ويا أيها البحرالإنساني اللامتناهي، انهضوا ودافعوا عن كيانكم الإسلامي والوطني».[1]

ولكن لم هذا التغافل والتجاهل؟ الحقيقة هي أنه يستهدف أن لا تعي كل الجماهيرحقيقة ما يحدث، و إلا فإن النهضة ستسري سريان العافية في العروق اليبيسة، والنارفي الهشيم، وهو ما أصر الإمام الخميني على توضيحه أمام الجماهير. إنه يقول في حديث له أمام عوائل الشهداء عام ١٩٨١:

«إن هؤلاء يرون حديث سقوطهم وفنائهم في كل مكان من العالم، فحتى السود في أمريكا يعلنون ذلك، إنهم يرون الإسلام

١- *كلام الإمام*: ج١٥ ص١٦٧.

قـدرة متقدمـة تعبـئ بنفسـها الشـعب والأجنحـة المتدينـة والعناصـر المظلومة، و إننا لنرجو بمشيئة الله أن يؤدي هذا لثورة المستضعفين في العـالم للقضـاء علـى القـوى العظمـى.. إنهـم يخـافون مـن هـذا التحرك...».[1]

وهكذا راح يستعرض مظاهر هذه النهضة والصحوة ليؤكدها في وعي الجماهير:

أ ـ التحرك الإسلامي الواسع

مـن أهـم المظـاهر التـي أكـد عليهـا وعلـى قوتهـا، هـذا التحـرك الجماهيري الإسلامي في عدة أماكن من العالم الإسلامي، ومنها هذه الثورة الإسلامية الكبرى في فلسطين. وكلنا يعلم أن الإمام عاش لهذه القضية وسخر لها طاقاته، وبقي وفيًا لشعاراته الواضحة حتى انتهاء حياته، وأوصى بها بعد وفاته.إنه أعلن أن إسرائيل غدة سرطانية يجب اقتلاعها، وأن المسلمين قادرون ـ مهما عتت أمريكا و إسرائيل ـ على القضاء على منبع الفساد هذا. وكم كان يتألم حينما يرى هذا التخاذل والتراجع المستمر، وعلى أي حال فإن الإمام الخميني (رحمه الله) كان يأمل كثيرًا في هذه الصحوة الإسلامية في الجماهير الفلسطينية، وكان يعتبر ذلك سبيل الخلاص الوحيد، وملف القضية الفلسطينية في أقوال الإمام واسع جدًا لا يمكننا أن

١- *كلام الإمام*: ص٢٢١.

نستوعب حتى جزءًا يسيرًا منه.[1]

إنه يعتبريوم القدس يوم الإسلام، ويوم الحكومة الإسلامية التي ستسود العالم الإسلامي كله، يوم قهرالقوى العظمى، ويوم انطلاقة المسلمين من عقالهم لإحقاق حقوقهم، ويوم الرد العملي على تغافل القوى الكبرى لحقيقة الصحوة الإسلامية.[2]

ومن أنماط ذلك التحرك الواسع ثورة الشعب الأفغاني المسلم بوجه الطغاة الملحدين، بل وقوفه أمام القوة الشرقية العظمى بكل جبروتها وبمنتهى الضعف في السلاح والقوة في العزيمة،مما أدى في النهاية إلى انهيارها.

وهنا يخاطب الإمام الخميني كارترقائلًا:

«من المستحسن أن يعتبر كارتربأفغانستان: حيث الحكم المسلط يدعمه الاتحاد السوفيتي والأحزاب الشيوعية واليسارية ... إلا أن هؤلاء لم يستطيعوا أن يخضعوا الشعب الأفغاني المسلم لإرادتهم».[3]

ويقول في رسالته إلى حجاج بيت الله الحرام عام ١٤٠٤هـ:

«لقد رد الشعب الأفغاني العدوان السوفيتي الغادر، عدوان تلك

١- تراجع الكتب الكثيرة المؤلفة في هذا الشأن، ومنها الجزء ١٩ من كتاب *كلام الإمام*، وهو تحت عنوان: كلمات الإمام في فلسطين والصهيونية.

٢- *كلام الإمام*: ج١٩ ص١٢٩.

٣- كراس *القيادة وأفغانستان*: ص٦ من حديث للإمام مع طلاب كلية الإلهيات أواخر عام ١٩٧٩.

القـوة الأسـطورية والجـيش الضـخم والحكـم الغاصـب والحـزب الخائن، رده بقدرة الإيمان والتوكل على الله العظيم والاعتماد على النفس بحيث يمكن القول إن الاتحاد السوفيتي يعيش الآن الحيرة والندم على هجومه الظالم، وهو يحار كيف ينقذ نفسه ويحفظ ماء وجهه».[1]

ب ـ انتفاء الأساطير الاستعمارية

ومن مظاهر الصحوة الإسلامية هذا الوعي السياسي الكبير لحقائق الأمور وانتفاء الأساطير التي حاول الاستعمار زرعها في النفوس من قبيل: أسطورة إسرائيل التي لا تقهر، وأسطورة انحصار سبيل السعادة بأحد المذهبين الرأسمالي أو الاشتراكي، وأسطورة «التخدير الديني» و«تضاد الاتجاه الديني والثورة» وأسطورة انحصار السبيل بالمعسكرين دونما ثالث.

وهنا يقول الإمام الخميني (رحمه الله) في رسالته بمناسبة يوم القدس العالمي في أوائل العقد الثامن من هذا القرن:

«إلى متى تسحر أسطورة الشرق والغرب الكاذبة المسلمين الأقوياء وتوحشهم الأبواق الإعلامية الجوفاء»[2] وفعلًا فقد حطمت الثورة الإسلامية هذه الأسطورة.

١- المصدر نفسه: ص١١.

٢- *كلام الإمام*: ج١٥ ص٣٢٠.

عوامل الصحوة

ومن يستعرض عوامل الصحوة الإسلامية المعاصرة كما يصورها الإمام الخميني (رحمه الله) ربما يحار في وضعها في سلسلة العوامل أو في سلسلة النتائج، إلاّ أن هذه الحالة حالة طبيعية، ذلك لأننا نتحدث عن ظاهرة اجتماعية تعيش مع الإنسان، فهي بالقدر الذي تصنع فيه تأثيرها تتأثر بدورها وتكبر وتقوى في نفس الوقت.

خذ على ذلك مثلًا عامل توفر القيادة الواعية الصبورة، فإنه عامل حاسم في صنع التغيير، إلا أن التغيير نفسه يهب القيادة وعيًا أكبر وجلدًا أقوى ونظرة أكثر خبرة لكي تواصل مسيرتها الطويلة.

وهكذا يمكن القول عن باقي العوامل، وهذا ما سنعرفه من خلال هذا البحث الشيق في كلمات الإمام الخميني وتصوراته عن الصحوة المباركة.

وأهم ما لاحظنا من عناصر هي كالتالي:

- التأييد الإلهي.
- توفر القيادة الواعية.
- توفر مجموعة من العلماء والمفكرين المربين.
- تأهل الشعب لعملية التغيير.
- ظلم الطغاة.
- قدرة الإسلام نفسه من خلال تصوراته وتعاليمه ومناسباته على صنع التغيير.

ـ الأماكن والمناسبات والشعائر الإسلامية وحسن استثمارها.

ولعلنا نجد أن هذه العوامل هي الأهم في صنع الثورة الإسلامية الأولى بقيادة الرسول الأكرم محمد (ص) فلقد كان التأييد الإلهي ـ قبل كل شيء ـ هو العامل الأهم، كما كانت شخصية الرسول (ص) صاحبة الأثر العظيم، في حين كان استعداد الأمة للعمل - وهو استعداد نما شيئًا فشيئًا - ذا أثر ضخم في صنع ذلك التحول التاريخي الكبير. وطبيعي أن الرسالة التي حملها أولئك المؤمنون كانت ذات خصائص كبرى وفرت السبيل للنصر ودخلت إلى القلوب وتعمقت مع الجذور الإنسانية، ولعل الآية الشريفة التالية تشير إلى أهم هذه العوامل.

يقول تعالى: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين، وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم إنه عزيز حكيم﴾.[1]

فلنستعرض إذن باختصار دور هذه العوامل في كلمات الإمام:

العامل الأول: تأييد الله تعالى

وهذه حقيقة أكدها الإمام مرارًا وأعلن أن الذي صنع هذه الصحوة هو لطف الله ورحمته، و إننا لم نكن إلا وسائل لنزول هذه الرحمة الإلهية، ولعله لم يكن يخلو كلام للإمام من ذكر هذه

١- الأنفال: ٦٢ - ٦٣.

الحقيقة، وهو ما شهدناه في بعض النصوص الماضية.

وكمثال على ذلك يقول في رسالته إلى الطلاب في أمريكا عام ١٩٨٠:

«إن الثورة الإسلامية بتأييد الله المنان تتسع على المستوى العالمي وهي بمشيئة الله سوف تجرالقوى الشيطانية إلى التقوقع والانزواء».

العامل الثاني: توفرالقيادة المطلوبة

وهذه بدورها حقيقة مهمة وما أكثرما كانت بعض أنماط الصحوة تتجلى هنا وهناك إلا أنها تؤول إلى الاضمحلال بسبب عدم توفرالقيادة الكفوءة أو ضعف هذه القيادة، ومن هنا فالقائد دائمًا هو المستهدف من قبل أعداء الصحوة للتصفية الجسدية أو المعنوية، وكلنا يعلم دورالدعايات المشركة ضد الرسول العظيم (ص) وأتباعه المخلصين.

وأول ما يشترط في القائد الإخلاص للقضية والتواضع الخلقي والعمل في سبيل تحقيق رضا الله، فهو روح العمل وسراستمراره وتوفيقه، وهو ينظرللواجب قبل أن ينظرلنتيجة العمل.

يقول الإمام الخميني في حديثه لسكان كردستان عام ١٩٧٩:

«إلهي إنك تعلم أننا ما طلبنا في نهضتنا هذه سوى رضاك، و إنك لتعلم أننا ننفرمن الظلم حتى ولو أصاب فردًا واحدًا».[1]

١- كلام الإمام: ج١٥ ص١٨٧.

ويقول لمراسل صحيفة بالتيمورسان قبيل نجاح الثورة:

«إنني بعون الله تعالى سأقوم بواجبي في خدمة الإسلام والمسلمين وسأستمرما لم يكن هناك منع (إسلامي) للاستمرار».[1]

وها نحن نعمل بواجبنا».[2]

وعندما يسأله مراسل التايمزاللندنية قبيل نجاح الثورة عن حياته الشخصية يجيب:

«حياتي الخاصة حادثة فردية من مجموع حوادث العالم ولا تحتاج إلى توضيح، أما عقيدتي فهي كعقيدة سائرالمسلمين في تلك المسائل الواردة في القرآن الكريم والسنة الشريفة والقادة الصادقين، بعده، وروح هذه العقيدة وأهمها وأجلها عقيدة التوحيد».[3]

وعندما تحدث أحد النواب في مجلس الشورى بحضوره فأطنب في وصفه رد عليه قائلًا:

«إنني لأخشى أن تكون هذه الأقوال وأمثالها سببًا لحدوث حالة من الغروروالانحطاط لي و إني لاعوذ بالله - تبارك وتعالى - من الغلو، ولو كنت أعتبرنفسي حائزًا على مرتبة أعلى من سائرالأفراد فذلك انحطاط فكري وتسافل روحي».[4]

١- المصدرنفسه: ج٦ ص٤٠.

٢- المصدرنفسه: ج٦ ص٦٠.

٣- *كلام الإمام*: ج٦ ص٧٧.

٤- المصدرنفسه: ج٦ ص٩١ ـ٩٢.

ومن شروط القائد أن يكون شعبيًا متواضعًا يعيش مع الجماهير المسلمة ولها، ويفكر في ما يصلحها ولا ينعزل عنها، كل همه خدمتها ورضاها، يعي آلامها ويعيش آمالها، ويحكم قلوبها قبل أبدانها. وهو ما طبقه الإمام الخميني نفسه على حياته الشخصية والسياسية. يقول الإمام في رسالته إلى الشعب في عيد انتصار الثورة الأول:

«إن الأطباء منعوني من الاشتراك في عيد الشعب الغيور والجيش الإسلامي إلا أن قلبي مع الشعب الشريف، والجيش الإسلامي الوطني والحرس، ودعائي المتواضع يودعهم وسأبقى ما بقي فيّ رمق من الحياة خادمًا مضحيًا في خدمة الجميع».[1]

ويقول في كلمته إلى الخطباء والعلماء في طهران عام ١٩٨١:

«إننا جميعًا رهن لمنة هذه الجماهير العظيمة. إنها تعطي كل شيء في سبيل الإسلام ولا تطلب شيئًا».[2]

ويقول مخاطبًا الوفد المرسل للتحقيق في الحرب المفروضة وكان يضم بعض القادة الكبار عام ١٩٨٠:

«إنني أنصحكم أيها السادة وأنتم على رأس بعض الأقطار الإسلامية أن تسعوا لتحكموا القلوب لا أن تحكموا الأبدان والقلوب عنكم بعيدة».[3]

١- *كلام الإمام*: ج٦ ص٥٨.

٢- المصدر نفسه: ص١٠٤.

٣- المصدر نفسه: ص١٨١.

وهكذا كانت سيرته العملية، فلم يكنزشيئًا ولم يسكن قصرًا ولم يترك شيئًا يذكر. كانت حياته تتلخص في بيت مستأجر وغرفة صغيرة ومصحف وبعض الكتب المهداة، هذا وهو الرجل الذي يهدد القوى العظمى وينغص حياة الظلمة المترفين في أنحاء العالم. كان يعيش مع شعبه بكل وجوده، وهذا ما يشهد له به التاريخ.

ومن الأمور المشترطة في القائد بشكل طبيعي أن يتمتع بالأهلية العلمية، ذلك أنه يريد أن يقود تحركًا عقائديًا ويسعى لتطبيق منهج إنساني متكامل وأطروحة جامعة. وطبيعي أن القائد يجب أن يطبق الأطروحة على نفسه، كما يسعى للالتزام بتوجيهات الأطروحة ومناهجها في أسلوبه العملي حتى إذا ما انتصرراح يعمل على تطبيقها على الحياة الاجتماعية تطبيقًا ترضاه أدلتها ومنابع رؤيتها للواقع والحياة. وهذه أمورتتطلب أن يكون القائد متمتعًا بالصفات العلمية والخلقية العليا، وهي في الواقع ما يسمى بالأساس العقلي، أي الأساس الطبيعي لنظرية ولاية الفقيه، فلابد لقيام الحكومة الإسلامية من وجود ولاية تسوّغ إصدارالقوانين والتحديدات التي تستتبعها هذه القوانين للحرية الأصلية للأفراد تحقيقًا لطموحات الرسالة ومصالح المجتمع، وهذه الولاية إنما تمنح للشخصية التي تتمتع بالقدرة الفقهية والسلوك الملتزم العادل والأهلية القيادية المطلوبة، ولسنا هنا بصدد الحديث عن أبعاد هذه النظرية الإسلامية الأصيلة

بقدر ما أردناه من الإشارة إلى ضرورة تمتع القائد بهذه الصفة العلمية.

يقول الإمام الخميني في حديثه إلى الناس في أوائل عام ١٩٧٩:

«إلهي إنك تعلم أنني لا أدافع عن العلماء (ودورهم) لأنني منهم بل لأنني أعلم أن هذا الصنف من الناس هو الذي يستطيع إنقاذ الشعب».[١]

وكان من تأكيداته أن يتم الالتحام بين المجامع العلمية الدينية (الحوزات) والتي كانت المدرسة الفيضية مثلًا لها، والمجامع العلمية الحديثة (الجامعات الأكاديمية)، وذلك بعد أن عمل الاستعمار على إيجاد الهوة السحيقة الملأى بالتهم والسخرية بينهما.

لذلك نراه يقول مخاطبًا مجموعة من العلماء الدينيين والأساتذة والطلبة الجامعيين في أوائل عام ١٩٨٠:

«لقد هدمتم ذلك السد الكبير بين ما نسميه بالفيضية والجامعة، إنها الخطوة الأولى والتي يجب أن تستتبعها خطوات فتعملوا على أن تكونوا مستقلين غير تبعيين... إن الأجيال الآتية يجب أن تعلم بضرورة وحدة هذين المركزين، و إنما يتم ذلك من خلال العلم والعمل. العلم والتهذيب، يشكلان جناحين لا يمكن الطيران بأحدهما فقط».[٢]

وطبيعي أنه إذا تم الالتحام وقفت كل المجامع العلمية تسند القيادة علميًا وعمليًا.

١- *كلام الإمام*: ج٦ ص٥٢.
٢- *كلام الإمام*: ج٦، ص٦٣.

وعندما حاول بعض المفكرين الجامعيين النيل من مكانة الفقهاء وذلك قبيل نجاح الثورة الإسلامية عاتبهم الإمام الخميني قائلًا:

«لقد عمرتُ ثمانين عامًا وعشتُ ستين عامًا في الجامعات العلمية، ولي منذ حوالي ثلاثين عامًا اشتراك في مسيرة الأمور الاجتماعية، وأمامي هذه العقود الأخيرة بكل حوادثها، ومعنى ذلك أنني لا أفتقر للخبرة في هذا المجال، ولذلك فإنني أعلن من خلال معلوماتي عن مسيرة الإسلام منذ الصدر الأول وحتى اليوم، أن الذين حفظوا المسيرة الدينية بكل أبعادها هم العلماء».[1]

العامل الثالث: قيام العلماء بواجباتهم

و إدراكًا منه لدور العلماء نجده يتوجه إليهم ويذكّرهم بدورهم في عملية النهضة الاجتماعية ويعمل على نفي العناصر العميلة والتي يسميها بوعّاظ السلاطين، وهو مصطلح طرح من قبل على ألسنة بعض المفكرين الاجتماعيين إلا أنه كان معبرًا عن روحية هذه الطبقة. وقد هاجمها الإمام الخميني بشدة وحذر الناس منها وطردها من المسيرة الاجتماعية.

إنه يؤكد في حديثه لأهالي مدينة قم في أوائل عام ١٩٨٠:

«لقد قلت مرارًا إن العالِم الذي يعمل خلافًا لشأن العلماء وتعاليم

١- المصدر نفسه: ص٧٣.

الإسلام ويتآمر علينا، هو أشد من السافاك، بل هو سافاك معمَّم... إن لي نفورًا من الكثير منهم ولا أؤمن بالكثير منهم...».[1]

ويؤكد في كتابه *ولاية الفقيه*[2] قائلًا:

«إن ذلك الفقيه الذي يدخل في جهاز الظلَمة ويعود من حواشي البلاط ويطيعهم ليس أمينًا ولا يمكن أن يحمل الأمانة الإلهية، والله وحده يعلم مدى المصائب والمحن التي صبها علماء السوء هؤلاء على الإسلام».

وفي قبال ذلك يؤكد الإمام الخميني في أماكن كثيرة وبتأكيد شديد على قيام العلماء بواجباتهم في سبيل دفع عجلة الصحوة إلى الأمام:

«لقد رأينا أناسًا كانت مجرد معاشرتهم وملاحظة سيرتهم تترك أثرها التنزيهي على الآخرين. إن عليكم أن تهذبوا أنفسكم إلى الحد الذي يترك سلوككم فيه وأخلاقكم وإعراضكم عن الدنيا أثره في إصلاح الناس، فيقتدون بكم، وتُعدّون أسوةً للأنام، وجندًا لله، لتستطيعوا أن تعرفوا الإسلام، والحكومة الإسلامية. لا أريدكم أن تتركوا التفقه، بل عليكم الدراسة المتواصلة بكل جدية، وأؤكد على هذه المسألة. لا تُخلوا الحوزات من الفقهاء، وما لم تتفقهوا فإنكم لن تستطيعوا أن تخدموا إسلامكم، إلا أن

١- *كلام الإمام*: ج٦ ص٦٢ -٦٣.

٢- المصدر نفسه: ص١٩٩.

عليكم خلال دراستكم أن تعرّفوا الإسلام للناس».

ويضيف:

«إن تحطيم الطاغوت ـ أي القوى السياسية المنحرفة الحاكمة ـ في وطننا الإسلامي إنما هو من واجباتنا».[1]

وقبل أكثر من خمسة عشر عامًا من نجاح الثورة، كان الإمام الخميني يؤكد هذه الحقيقة:

«إن على علماء الإسلام الدفاع عن أحكام الإسلام المسلّمة، واستقلال الأقطار الإسلامية، والنفور من الظلم و إسرائيل وعملائها وأعداء القرآن المجيد، والإسلام، والوطن... إن السكوت في هذا العصر في قبال الظلم إنما هو إعانة عليه».[2]

العامل الرابع: التحول الشعبي باتجاه الإسلام والمعنويات

والواقع أن عمل العلماء انصبّ على أن يستعيد الإسلام دوره في النفوس والعقول، وحينئذ فهو يتكفل بدفعها نحو سبل السعادة، بما يحمله من طاقات ذاتية، و إبداع متدفق يفجر طاقات الفطرة، ويستخرج مكنوناتها، ويستثير دفائنها، و إذا تجلت الفطرة النفسية على السطح الحياتي كان الفلاح كله.

والجدير بالذكر أن هؤلاء المفكرين لم يستطيعوا أن يحققوا ما

١- *ولاية الفقيه*: ص٢٠٣.

٢- بيان صادر بمناسبة الخامس عشر من خرداد عام ١٩٦٣.

حققوا إلا بعد أن حرروا نفوسهم من المتع الرخيصة، ونذروا أنفسهم للهدف، وتخلصوا من قيود التبعية للحكام الذين شكلوا ـ في فترة الغفوة ـ قيودًا ظالمةً، وما زال الكثيرون منهم يشكلون ذلك، و إلا بعد أن اتصفوا بالعملية والروح التغييرية الإسلامية معًا.

يقول الإمام الخميني (رحمه الله) عام ١٩٧٩:

«إن ما حدث في إيران من ثورة معلول لعاملين: الأول: ـ وهو الأهم من غيره ـ هو أن الشعب التحم مع الإسلام في مسيرته، بمعنى أن إيران من أقصاها إلى أقصاها كانت تطالب بالإسلام. والأمر الثاني: إن جميع الأصناف والقطاعات اتّحدت وتلاحمت فيما بينها».[1]

ويقول في حديثه إلى بعض الجنود في نفس السنة:

«إن سر انتصارنا يكمن في أن نهضتنا لم تكن سياسية فقط أو لإنقاذ النفط من التبعية فحسب، و إنما كانت تمتلك بعدًا معنويًا إسلاميًا، شبّاننا كانوا يتمنون الشهادة ويستقبلونها تمامًا كما كان المسلمون في صدر الإسلام».[2]

ومن الملاحظ هنا أن القائد الحكيم هو الذي يراقب مسيرة الثورة بكل دقة، فإذا ما حدثت حالة (الإقبال الثوري) لدى الأمة عمل على استثمارها على أفضل وجه، في سبيل تحقيق مصالح الشعب، وتصعيد الوعي لتحقيق الصحوة المطلوبة. ولنا من القرآن الكريم

١- *كلام الإمام*: ج١٠ ص١٤٧.

٢- المصدر نفسه: ج١٠ ص١٢٩.

وعمل الرسول الأكرم والقادة خير الأدلة والتطبيقات لهذه القاعدة الأساس.

العامل الخامس: اشتداد ظلم الطغاة وتصاعد الهجوم الاستعماري

فإن هذا العامل عندما يتصاعد، وبالخصوص عندما يتصاعد الإحساس الشعبي بهذا الظلم، يترك أثره في تحريك الجماهير نحو بذل الغالي والرخيص للخلاص منه، وتحقيق التغيير الاجتماعي المطلوب.

يقول الإمام الخميني (ره) في جوابه على رسالة رئيس عربي أواخر عام ١٩٧٧:

«إنّ الشعب الإيراني وبعد انقضاء المراحل الزمنية السود الملأى بالعنف، وبعد تحمل أزمة مرعبة، وفقدان الاستقلال، وضياع الشعائر الإسلامية والوطنية على أيدي الجناة الذين تقف على رأسهم عائلة بهلوي المجرمة، وبعد مشاهدة كل ذلك السلب والنهب، وأنماط الخيانة اللامتناهية للمقدسات الدينية والوطنية، والذخائر الوطنية العظمى وفي طليعتها القوى الإنسانية والتراث الثقافي؛ هذا الشعب ـ وبمشيئة الله تعالى وتوكله على الإسلام والقرآن ـ عاد إلى ذاته وراح من خلال نهضته الإسلامية يتقدم كسيل عارم لتحطيم السدود الكبرى للاستعمار والاستبداد...».[1]

١- *كلام الإمام*: ج١٠ ص٨٠.

ويقـول (رحمـه الله) مخاطبًـا مجموعـة مـن عشـائرمحافظـة «بويرأحمد»:

«إن أحـد العوامـل التـي حققـت لكـم النصـر؛ هـذا التصـاعد فـي الظلم والإرهاب. ذلك أن الرعب والإرهاب عندما يطغى فإن الانفجار سيتبعه، ويتجمع الحقد الشعبي لتطلقه صرخة شجاعة، وفي إيران تجمعت هذه العقد النفسية وحصل الانفجار، والأهم من كل ذلك أن هـذا الانفجـاررافقـه اتجـاه نحـو الإسـلام، ولقـد كانـت صـرخة الإيمان هي انطلاقة هذا التحرك».[1]

العامل السادس: الأماكن والمناسبات والشعائرالإسلامية وحسن استثمارها

وهـذا عامـل واسـع الأبعـاد بـدوره، ذلـك أن الإسـلام - بمعنـى مـن المعـاني - يربّـي الإنسـان علـى أن يكـون تغييريًـا ثوريًـا دائمًـا لا يقبـل مطلقًا بواقع فاسد. ومن أساليبه المهمة مسألة تعيين بعض الأماكن والأزمنة والشعائرلتمتلك زخمًا معنويًا ثوريًا يفوق الحالة الاعتيادية، ويعمـل علـى إيجـاد ضـخ معنـوي وحالـة يقظـة وصـحوة، ويـدفع نحـو تحقيق المعاني الكبرى التي يريدها الإسلام.

فعلـى الـرغم مـن أن الله تعـالى لـه مـا فـي السـماوات والأرض، وهـو معكـم أينمـا كنـتم، إلاّأنـه شـاء أن يعـيّن بعـض الأمـاكن وينسـبها

١- المصدرنفسه:ج١٠ ص١٣٧.

خصوصًا له بما يسمى (بيوت الله)، كما شاء أن يعين مكانًا معينًا له في الأرض ليكون بيته الحرام، وعلى الرغم من أن الزمان ملك لله تعالى وحده، لكنه شاء أن يعين شهر رمضان المبارك شهرًا له، وعلى الرغم من أن الأيام كلها له، لكن هناك أيامًا تثير الكثير من المشاعر لذا سميت أيامًا لله، وهذه المحطات الزمانية والمكانية لها دورها الكبير في تحقيق عودة إلى الله وسرعة في العملية التغييرية.

والقيادة الواعية الحكيمة هي التي تستثمر هذه المناسبات الإسلامية لتحقيق التغيير المطلوب في مستوى الوعي والصحوة. وكم كان الإمام يردد: ان كل ما لدينا من عطاء ثوري إنما هو نتيجة عطاء شهر محرم والمجالس التي يعقدها المؤمنون لإحياء ذكرى ثورة الحسين بن علي (عليهما السلام).

وهو يؤكد في وصيته الخالدة قائلًا:

«وليعلموا أن تعاليم الأئمة عليهم السلام لإحياء هذه الملحمة التاريخية الإسلامية - ثورة الحسين (ع) ـ ... إنما هو بأجمعه صرخة بطولية شعبية بوجه الحكام الظلمة على مر التاريخ و إلى الأبد».[1]

وعن أثر المساجد يقول في أحد أحاديثه عام ١٩٧٩:

«إن كل الحركات الإسلامية منذ صدر الإسلام إنما استمدت انطلاقتها من المسجد، لقد كان المسجد محلًا لتعبئة القوى ضد الكفر والشرك، وأنتم باعتباركم من رواد المساجد يجب أن تحوّلوا المساجد إلى قواعد للإسلام وللحركة الإسلامية ليتم قطع أيادي

١- *كلام الإمام*: ج١٥ ص٧٩.

الشرك والكفروتأييد المستضعفين في قبال المستكبرين».

أما الحج فحدث عنه ولا حرج، ففي تصورات الإمام الخميني عن الحركة الإسلامية يحتل الحج الدورالأكبر، وكان يحرص (رحمه الله) على أن يحقق الحج دوره العظيم في صياغة المجتمع الإسلامي المؤمن العابد الموحد والمكافح ضد الطغيان.

ولقد كان يضمّن أروع توجيهاته في رسائله المطولة التي كان يوجهها إلى الحجاج كل عام، و إننا لنعتقد أن هذا الجانب يحتاج إلى دراسة معمقة فاحصة لكي نصل إلى الأبعاد الكبرى التي كان الإمام يرمي إليها في هذا العمل الإسلامي الكبير.

ولم تكن هذه النظرة وليدة نجاح الثورة الإسلامية، بل كان يبشّربها قبل ذلك بسنين، فهو يؤكد في كتابه *ولاية الفقيه* على ذلك قائلًا:

«يجب استثمارهذه الاجتماعات لأهداف الإعلام والتعليمات الدينية وتوسعة مدارالنهضة العقدية والسياسية الإسلامية».[1]

ولسنا نريد التوسع في هذا المجال، وتكفي نظرة سريعة على رسائله إلى الحجاج لنكتشف الأهمية البالغة التي أولاها الإمام لذلك.

ومن المناسبات الإسلامية الأعياد الكبرى باعتبارها يوم العودة إلى الله، وهنا يطلب الإمام من خلال تهانيه أن تدرك الجماهيرأبعادها، وقد كانت انطلاقة الثورة الإسلامية الكبرى من يوم عيد الفطر

١- ولاية الفقيه: ص١٨٠.

المبارك، فلنلاحظ كيف يبارك الإمام الخميني مناسبة عيد الأضحى المبارك لكل المستضعفين قائلًا:

«أُبارك هذا العيد الإسلامي الكبير لكل أولئك المستضعفين في العالم والذين ثاروا بوجه المستكبرين وأولياء الطاغوت».[1]

العامل السابع: نجاح الحركات الإسلامية والثورة الإسلامية الكبرى في إيران نفسها

فعلى الرغم من أن هذا العامل معلول للصحوة المباركة إلاّ أنه بدوره يشكل أكبر العوامل لتوسعتها ونموها في كل العالم الإسلامي.

العامل الثامن: الدور الرائع الذي لعبته الحركات الإسلامية في نشر التوعية والحماس الثوري بين أبناء الأمة

وقد اختلف تأثير هذه الحركات على هذه المنطقة أو تلك، كما اختلف مستوى الوعي والحماس لدى هذه الحركة عن تلك، إلا أنها - جميعًا - قد أججت الشوق الجماهيري نحو تطبيق الإسلام، وأوجدت شعورًا ذا مساحة معتد بها، بلزوم مقاومة مظاهر الطاغوت، والعودة للإسلام. وكثيرًا ما رأينا الإمام يذكّر بدور المرحوم الأفغاني والمدرسي والنوري وحركة فدائيي الإسلام وغيرها.

و إني لأعلم أن الكثير من أبناء هذه الأمة قد اهتدى بفعل تأثير

١- *كلام الإمام*: ج١ ص١١١.

هذا العامل، كما أعلم أن الكثيرمن المحاولات الاستعمارية والعميلة قد جرت لجرّبعضها إلى سبيل الاحتواء، أو الانضواء تحت الرايات الخادعة، أو الاعتماد على نظم لا تمت إلى الإسلام بصلة، وطبيعي أن هذه المحاولات لابد وأن ينكشف زيفها في أجواء الوعي السائد، وهكذا كان الأمر، وراحت حركة التوعية تقطع أشواطها الضخمة التأثير.

وهنا أؤكد أن على القادة الإسلاميين أن يديموا دفع عجلة النهضة الفكرية والعملية، بكل ما يملكون من طاقة، بعد أن يحرروا وجودهم وفكرهم من سيطرة الطواغيت، والعمالة للأجنبي، فالتحريرالذاتي شرط أساس لعملية التحريرالاجتماعي.

وبالتالي فإن التذكيربهذه القضايا وتعميق الرؤية نحوها سوف يترك آثاره الإيجابية على استمرارية عملية الصحوة وديمومة النهضة الإسلامية.

ثم إن عليهم عدم الانخداع بالنماذج التحريفية للإسلام التي يعرضها القشريون والمتنسكون كذبًا والمتطفلون على الإسلام.

يقول الإمام الخميني بهذا الصدد:

«إن المجتمع الإسلامي اليوم مبتلى بمجموعة من القشريين المقدسين كذبًا والذين يعملون على إيقاف مسيرة الإسلام والمسلمين، ويوجهون الضربات للإسلام باسم الإسلام نفسه».[1]

١- *كلام الإمام*: ج١٥ ص١٧٦.

ثورة الإمام الخميني

المصادر التاريخية والتجديد الإسلامي

روجيه غارودي[1]

إنَّ هـذه الثـورة لا تـُشبه أيَّ ثـورة أخرى، فـالثورة الفرنسيّة، على سبيل المثال، هي ثورة سياسية نقلت سلطة الدولـة من الطبقـة الارستقراطية إلى طبقة هرميَّة اجتماعية جديدة ترتكزُعلى مبدأ الثورة.

كما أنَّ الثورة الروسية تتشابه بشكل من الأشكال في نقل السلطة الاقتصادية من الطبقة البرجوازية إلى طبقة الكادحين.

بَيدَ أنَّ الثورة الإسلامية تجمعُ بين الثورتين الاقتصادية والسياسية في آن واحد. ولكن ما يُميّزها أيضًا أنَّها ثورة فكرية امتدت شامخة أمام مفاهيم الإنسان والحضارة السائدة في الغرب منذ قرون، والتي يمكن من خلال ذلك أن تكون الثورة الوحيدة التي ينطبق عليها اسم الثورة«العصرية» بكل ما في الكلمة من معنى.

يبدأ التأريخ الغربي بالعصرالحديث الذي سُمِّي بعد ذلك بعصر النهضة، وهو العصرالذي تزامنت فيه ولادة الرأسمالية Capitalism مع

---

١ - المفكرالفرنسي المعروف، والمقال ننشره بمناسبة وفاته ٢٠١٢/٦/١٣.

ولادة الاستعمار Colonialism، حيث شَرَعت منذ بداياتها الأولى بسنّ قانون القطيعة بين الغرب وبين جميع الثقافات العالمية الأخرى.

وعلى ذلك فإنَّ لعام ١٤٩٢م أهمية مُستثناة. فقد شهدَ هذا العام بالتحديد سقوط غرناطة، آخر الممالك الإسلامية في أوروبا، وفي الوقت نفسه شهد كذلك احتلال وتدمير حضارة الاميركيين الأصليين بعد وصول كريستوفر كولمبس Christopher Columbus إليها. وقد تبع ذلك في القرون الخمسة اللاحقة الغزو الاستعماري لكل من أفريقيا وآسيا ومحاولة إلغاء الثقافات والتقاليد الروحية التي تتميز بها هذه المناطق، وتدميرها تدميرًا شاملًا.

وقد اعتبرت أوروبا نفسها مُنذ هذه الفترة الزمنية بالخصوص صاحبةَ المشروع الثقافي الأصيل، وباعثةً لتجديد عصري متفرد.

ويمكن تصنيف هذه النهضة العصرية بفرضيات ثلاث:

١- دعوى الإنسان على إدارة الحكم على الأرض بقدراته الذاتية دون التدخل الغيبي، أو الإلهي المطلق.

٢- إحلال مفهوم سيطرة الأسواق الاقتصادية بدلًا من مفهوم النظرية الإلهية باعتبار أنَّ الأسواق هي المنظّم الوحيد لجميع العلاقات القائمة بين الأفراد والشعوب.

وعلى أساس هذه القاعدة فإنَّ جميع الأفراد يتنافسون فيما بينهم طبقًا لمقولة الصراع التي أشار إليها المفكّر توماس هوبز Thomas Hobbes في قوله «الإنسان ذئب لا يعدم الافتراس» Man is a wolf preying upon man.

٣- لا تعدو الطبيعة إلا أن تكون خزّانًا من المواد الضرورية غير قابل للنفاد، ومستودعًا للإنتاج والاستهلاك على حدٍّ سواء. وقد لخّص ذلك ديكارت بقوله:«**جُعلنا أسيادًا على الطبيعة ومُلاَّكًا لها**».

بَيدَ أنّ الثورة الإسلامية في إيران اعتمدت على ركائزأخرى مختلفة تمتدُّ بجذورها إلى أقدم حضارات العالم. وقد عبّرقائدها الإمام الخميني في حديثه عن هذه الثقافة بأنّها ثقافة تمتدُّ لآلاف السنوات...

وعلى ذلك فقد استطاع الإمام الخميني ممارسة دوره كقائد موجّه دون أن يكون ذلك على حساب استبعاد المعرفة لتقنيات العالم الحديث على شرط أن تكون مندرجة في طريق الله، والتي تكون منصبّة على إزدهارالإنسان والبشرية جمعاء وليست ساعية لفنائهما.

وعلى هذا الأساس فإنَّ هذه الطريقة تُبدد المقولات التي تزعم أنَّ الإسلام هوعدوللعلم والتقنية، بينما الإسلام في حقيقته هوالمُحرك الرئيس والمُحفّزلهذين الأساسين: العلم والتقنية.

كما أنَّ طريقة الإمام الخميني هذه بدَّدت الإشاعات الغربيّة غير المسؤولة التي تربط الإسلام بالعنف والإرهاب.

لم يكن الإمام الخميني قد دعا للعودة إلى الأهداف الصحيحة للثورة الحقيقية فحسب، وإنّما كان قد حدَّد الوسائل أيضًا. وهذه الوسائل تندرج في نبذ العُنف من جانب، والاعتقاد من جانب آخر، أنّ الخلود البشري تمنحه سلطة (الشهادة).

إنَّ المثال النموذجي لهذه الطريقة الجديدة ظهر من خلال نظرته إلى الجيش، فقد كان هذا الجيش خاضعًا لسلطة الشاه حيث امتلك قوّة ربّما كان يُعدُّها أبدية لا تُقهر.

أمَّا الإمام الخميني فكان يحملُ تصوّرًا آخر للسلطة، فهو لا يراها متمثلة بالمُعدات العسكرية الظاهرة، و إنّما تتمثل بالقوة العرفانية المعتمدة على الوجدان الصوفي الذي يتسلّح به المقاتلون...

من هنا يمكن القول أنّ التقدُّم المطلوب، الذي طرحه الإمام الخميني، هو تقدّم معكوس تمامًا عمّا هو موجود فعلًا، فلا تتشابه حتى مصطلحاته مع المصطلحات الشائعة.

ويتميّز هذا التقدم عن التقدم الغربي من خلال مرتكزات ثلاثة:

الأول: التوحيد

لا يعني التوحيد إثبات وحدانية الله المطلقة، أو إتحاد العالم الذي أنشأهُ فحسب، بل إنَّ كل فرد من الأفراد، ومجتمع من المجتمعات ليس عليه إلاّ واجب الخضوع لله بالطريقة التي يؤدي خدمته فيها للمجتمع العالمي للإنسان.

الثاني: معارضة الفردانية

هذا التقدم يرفض الفردانية التي تسعى لجعل الفرد مركزًا ومقياسًا لجميع القضايا، وخلافًا لتحويل نمط (المعيشة) إلى غاية تخضع لحسابات الربح والخسارة كمجال يتنافس فيه الفرد مع الآخرين، وهذه الرؤية الجديدة تتطلب الوصول إلى حقيقة أنَّ أيَّ عضو من أعضاء المجتمع الدولي هو عضو مسؤول بشكل لا إرادي

عن جميع أعضاء هذا المجتمع كما نصّ القرآن على ذلك: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾.

الثالث: الاهتمام بالطبيعة

لا يُمكن اعتبار الطبيعة خزّانًا، أو مستودعًا غير فعّال، بل هي مجموعة آيات، ولغة من خلالها تكلّم الله فأرانا عظمته فيها لغرض أن نتحمّل المسؤولية للحفاظ عليها. إنّ احترام الطبيعة يجعلها طبيعة خلاقة مثمرة.

ومن هنا يمكن تلخيص المردودات الجوهرية لرسالة الإمام الخميني بأنّها رسالة يمكن أن يرتكز على قواعدها تقدّم جديد، لكنَّه تقدّم حقيقي وصحيح.

* نحمد الله سبحانه من أعماقنا على أن منّ علينا وعلى شعبنا بهذه الأجواء القرآنية التي نتلمّس فيه تفاعل المستمعين مع كتاب الله العزيز.

* الأصوات القرآنية الجميلة لها الأثر الكبير في دخول القرآن إلى أعماق القلوب والمشاعر.

الإمام الخامنئي

فلسطين في خطاب الإمام الخميني

عدنان حسين أبو ناصر(*)

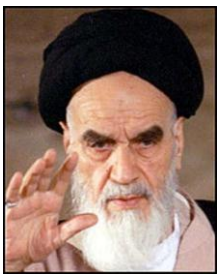

إن الحديث عن الإمام الخميني (رضوان الله عليه) يعني الحديث عن بان من بناة التاريخ الذين لا يموتون، إنهم يبقون فيه، يستوطنونه ويستمرون باستمراره يمارسون تأثيرهم بعد الموت، وأحيانًا أخطر مما مارسوه خلال أعمالهم ونضالاتهم ونجاحهم في تغيير مساره ليقترب من أحلامهم وتمنياتهم ورؤاهم الخاصة للمستقبل. و إن هذا الحديث صعب ومتشعب لأنه يحتاج أولًا إلى وعي مرحلة الإمام بتفاصيلها بحوادثها وبرموزها وأنظمتها السياسية.

وواقع العالم الإسلامي خلال هذه الفترة الزمنية، هو واقع انهياري أكثر منه واقعًا للصحوة والوعي، والعمل الإسلامي، وهو دافع تراجعي أكثر منه واقعًا للبناء وبعث الأمل.. وهو واقع يسير باتجاه تفكيك العالم الإسلامي ونهبه وتمزيقه وتكالب القوى الدولية المستغلة له أكثر من كونه واقعًا ينسجم فعلًا مع شعاراته الشكلية المرفوعة والمنادية بالعدالة والديمقراطية وحقوق الإنسان والرفاهية الاقتصادية وأخيرًا فهو واقع بائس من الداخل والخارج. ولكن أمام

(*) كاتب فلسطيني.

هذا الواقع فإن أسئلة كثيرة تبدأ أولًا ولا تنتهي واستفهامات تتوالى بلا انقطاع:

كيف يقاوم مثل هذا الواقع؟

وأية قوة قادرة على الخوض في غماره؟ و إلى أي مدى يمكن أن يستمر هذا الواقع؟

وما الطرق والوسائل التي يمكن اتباعها للتخلص من هذا الواقع؟

ونتساءل ونقول: أية قوة روحية كان الإمام يختزنها بحيث أتاحت له قيادة المسيرة السياسية الإسلامية ضد التيار، وأعطته الثقة الكبيرة في بدء رحلة تأسيس الوعي الثوري؟ أية مبادرة خلقت داخل الإمام ذلك العناد الثوري الهائل للوقوف في وجه العالم، كل العالم الذي استسلم أمام عمليات إبعاد الإسلام السياسي عن مسرح الحياة.

من هنا يبدأ الذهول، ومن هنا تبدأ الحيرة في استيعاب الإمام الخميني(رض) كقائد ومفكر ورمز ومؤسس وصاحب مدرسة ثورية، ومنهج ثوري، وهذا الذهول هو ذهول بكل معنى الكلمة، إنه ذهول الوصف وحيرة الاستيعاب. وصعوبة التصور، ليس لدى الإنسان العادي بل لدى الإنسان الواعي والحركي، والقائد الثوري، فليس من المبالغة القول: إن: سبعين أو ثمانين سنة من المسيرة الثورية للإمام(رض) لم تكشف عما قام به، ولم تكشف عن كل ما أسسه وعلينا إذن قراءة هذه المرحلة على ضوء رؤى هذا القائد

وأفكاره، لا بل علينا قراءة الأفق المستقبلي على ضوء فعل الإمام ودوره وكذلك استشراف الإمام السياسي ذاته لمرحلتنا هذه ولمراحل قادمة لم تأت بعد.

وها هو آية الله السيد علي الخامنئي يتحدث عن الإمام ويقول: «**لقد قيل الكثير حول إمامنا العزيز، لكنني أعتقد أنه من المبكر الآن أن نعرف نحن ويعرف المحللون العالميون إمامنا الجليل الفذ بشكل دقيق وكامل، فهو شخصية عظيمة يندر وجود مثيل لها بعد الأنبياء والأولياء كثيرًا، إذ تظهر مثل هذه الشخصيات في مراحل معينة من التاريخ فتقوم بإنجاز أعمال كبرى ومنجزات ضخمة، وتضيء في السماء كالبرق فيمتد نورها إلى كل مكان في الفضاء ثم تمضي، لقد قام إمامنا الجليل الفذ بأعمال كبرى تتناسب ضخامتها مع عظمة الإمام نفسه**».

هكذا إذن يصف السيد القائد الخامنئي الإمام بالقول إنه من المبكر معرفة الإمام له وللمحللين العالميين، إن هذا الكلام في وصف الإمام (رض) عندما ينطلق من أي إنسان، فهو ليس كما يقال على لسان السيد الخامنئي ليس لأنه رجل الثورة الإسلامية الثاني بعد الإمام، ولا لأنه أكثر الثوريين استيعابًا لمنهج الإمام الخميني الثوري فحسب بل لأنه أيضًا رفيق الإمام (رض) في مسيرته الثورية قبل الانتصار وبعده، وكلمة السر التي كان يقولها الإمام في كل موقع ثوري ولجنة ثورية قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران وبعده،

ولأنه الرجل الذي رشحته إيران برمتها ليحتل الموقع الأول في الدولة بعد رحيل الإمام (رضوان الله عليه) نقول: إذا كان آية الله الخامنئي يقول: إن معرفة الإمام هي أمر مبكر فكيف الحال لأي إنسان أو محلل أو كاتب أو دارس يحاول أن يسلط الضوء على هذا العملاق الراحل والتارك وراءه عالمًا أسيرًا لما أسسه ووضعه من قوانين جديدة للصراع الدولي، ما زالت بعد لم تتمخض عن نتائج في الوقت الحاضر، خاصة وأن صراع القوى المفتوح مايزال يعبر عن نفسه يوميًا بدون انقطاع وبشكل تصاعدي في شتى أرجاء العالم الإسلامي؛ فضلًا عن محاوره التقليدية مع الجمهورية الإسلامية في إيران.

وبالتأكيد إن صعوبة المهمة الاستقرائية لحياة الإمام (رض) ودوره السياسي وآثاره السياسية لا تعني إلا أن نتعامل مع ملف الإمام كملف مفتوح للدرس والبحث والتأمل، فهو رجل لعدد كبير من المراحل السياسية الماضية والقادمة. ولعل هذا ما كان يعنيه بالضبط السيد القائد الخامنئي من خلال قوله المذكور: إن معرفة الإمام معرفة دقيقة مازالت مبكرة، فالسيد الخامنئي أيضًا يستشرف الأفق السياسي ويقرأ استشرافات الإمام (رض) السياسية ويرى أيضًا أنه بالفعل رجل القرن الحادي والعشرين.

في الدراسة القادمة سنحاول تسليط الضوء بشكل مكثف على موقع فلسطين والقضية الفلسطينية في خطاب الإمام الخميني (رض).

فمنذ البداية أدرك خطورة العلاقة المشبوهة بين نظام الشاه المخلوع والكيان الصهيوني، وحذر من استمرار هذه العلاقة وزُجّ في السجن وأبعد عن البلد نتيجة موقفه من هذه العلاقة.

أدرك أهمية بيت المقدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين والأبعاد الدينية لهذه الأهمية بدءًا من الإسراء والمعراج إلى الأقصى الشريف وقبة الصخرة.. وأطلق يوم القدس العالمي يومًا لكل المسلمين، عرف أهمية فلسطين والقضية الفلسطينية ودعا إلى الوقوف إلى جانب الفلسطينيين المستضعفين وضرورة مواجهة الغدة السرطانية إسرائيل واستئصالها من المنطقة.

أخذت القضية الفلسطينية موقعها في الخطاب الخميني من خلال أشكال متعددة لمعالجتها والتعامل معها، فالإمام (رض) أولاها اهتمامًا خاصًا عبر احتضانه منذ وقت مبكر لشكلها الثوري الجهادي في العقدين والسادس والسابع من العمل الفلسطيني المقاوم في القرن العشرين، أما بعد الانتصار فلقد أخذت هذه القضية موقعها في يوم القدس العالمي الذي أطلقه الإمام يومًا لكل المسلمين للوقوف إلى جانب فلسطين وقضيتها.

نلاحظ موقع الاحتضان الخميني للثورة الفلسطينية منذ انطلاق فصائل المقاومة الفلسطينية المعاصرة، فمنذ ذلك الحين كان الإمام يحرص على دعم هذا العمل الجهادي المقاوم بكل الامكانات المتاحة من جهة، ويحثّ في الوقت نفسه القوى التحررية والدول

الإسلامية على احتضان هذا العمل، وعدم تركه وحيدًا أمام العدو الصهيوني ليستفرد به من خلال آلته الإرهابية البشعة، ويمكن القول قبل الحديث عن بعض أشكال الاحتضان والحث عليه إن الإمام (رض) كقائد إسلامي انفرد بأساليب داعمة خاصة للثوار الفلسطينيين عن غيره ممن واكبوا القضية الفلسطينية من القيادات. قليلون هم الذين عملوا لقضية فلسطين، وتحدثوا عنها دون لف وتزوير. الثورة الإسلامية، وضعت هذه المسألة في رأس اهتماماتها الإسلامية باعتبارها المسألة التي تجسد هدف الطامعين في عالمنا الإسلامي وما يمارسونه من جرأة على انتهاك المقدسات واللعب بالمقدرات والاستهانة بالأمة، كما أنها تجسد من جانب آخر مأساة المسلمين بذلّهم وهوانهم وسيطرة العملاء على شؤونهم وتقاعسهم. لا مجال للحديث عن أشكال الدعم وعن المواقف العملية والإعلامية التي اتخذتها الثورة الإسلامية تجاه القضية، بل نكتفي بعرض بعض أقوال الإمام بهذا الشأن:

ذات مرة قال الإمام الخميني (رض):

«إننا نقف مع المظلومين، نحن مع كل مظلوم وفي أي بقعة من بقاع العالم، ونظرًا لأن الفلسطينيين قد ظلموا من قبل إسرائيل، فإننا نقف معهم نساندهم.. إننا سوف نهزم إسرائيل».

من هذا القول يتبين لنا أن قضية فلسطين تحتل موقعًا متقدمًا في مبادئ الإمام واهتماماته.. وتبشرنا من ثمّ بأمل واعد ما زلنا نعيش

لنحياه يومًا.. وكلنا ثقة بأن الأمل سيصيرذات يوم حقيقة لا تعرف التبديل، لأن من يساندنا ويبشرنا بالعودة وبيوم الخلاص.. سيطرد من بلادنا الإسرائيليين وبعزيمة أهلنا وكل المحبين لخيرالإنسان.. سيطرد الصهاينة الذين مازالوا يشرّدون ويقتلون أطفالنا ويطمعون بالتوسع في أرضنا وفي كل الأصقاع.

منذ مطلع ستينات القرن العشرين، بدأ الإمام يخوض كفاحه الطويل ضد الإمبريالية والصهيونية في داخل حدود إيران المسلمة وخارجها.

وقضية فلسطين العربية المسلمة.. قضية الإسلام المركزية، ظلت وعلى مدى السنين الطويلة في سلم أولوياته.

ويتبين لنا هذا الكفاح من خلال الكلمات والخطب واللقاءات التي كان يجريها الإمام في مختلف الأماكن والأوقات.

ففي عام ١٩٦٢م وتحديدًا في مطلع العام قال الإمام في خطاب له مع جمعيات الأقاليم والمدن: «**لن يمروقت لهذا السكون القاتل الذي يلف المسلمين إلا ويكون الصهاينة قد سيطروا على كامل اقتصاد هذا البلد، بعد أن يضمنوا دعم عملائهم لهم، ومن ثم جر الشعب المسلم، بكل شؤونه نحو السقوط**».

من هذا النص نرى كيف أن الإمام كان ينظرإلى ذلك الكيان نظرة الشك والريبة إلى وجوده في قلب المنطقة الإسلامية، وأن وجوده ليس من أجل حق تاريخي يريد الحصول عليه في أرض فلسطين.. بل هووجود تبعي للحفاظ على مصالح أسياده الذين أسسوه ودعموا كيانه.

إن إدراك الإمام لخطر ذلك الكيان ليس وليد المصادفة أو المناسبة الخاصة، بل هو إدراك ناتج عن فهم طبيعة الصراع الذي تعيشه الأمة وما تزال في كل مناطق وجودها في مواجهة القوى الاستكبارية الظالمة وعلى رأسها الدول الداعمة لوجود إسرائيل. و إن وظيفة ذلك الكيان هي التغلغل الخبيث في مناطقنا وبلادنا، من خلال الأنظمة الرجعية والعميلة المرتبطة بعجلة الاستعمار لمراقبة حركة الشعوب وسيرها، حتى لا تقوم بالانتفاضات والثورات لامتلاك زمام أمورها، ولتبقى مقدرات الأمة كلها مرهونة لمصالح القوى الاستعمارية من أجل أن تستمر علميات النهب الاستعماري من خلال الإرهاب الذي تمارسه في مختلف أصقاع الأرض..

إن الإمام من خلال رؤيته هذه يحدد وبشكل واضح الدول التي ساندت الكيان الصهيوني وأسهمت في تأسيسه، ويحدد أيضًا وظيفة هذا الكيان التي تتلخص في المحافظة على مصالح دول الاستكبار العالمي في منطقتنا. وفي عام ١٩٦٣م وقف الإمام يندد بالأعمال الشيطانية لإسرائيل، ويربطها بأسلوب ذكي محنّك بأعمال الشاه حاكم إيران آنذاك، وما إن بدت أقواله حتى أثارت هذه الأقوال بمختلفها غضب الشاه حاكم إيران.. مما دفعه إلى أن يرسل تحذيراته إلى الإمام وتلامذته طالبًا عدم الربط بينه وبين إسرائيل، ومحذرًا من الهجوم على إسرائيل.. وكان الإمام أصرّ على موقفه هذا ولم يتراجع أبدًا.. وفي إحدى المدارس في مدينة قم.. في المدرسة

«الفيضية» التي تعدّ إحدى المدارس التاريخية الكبرى في إيران لتحصيل العلوم الإسلامية في هذه القلعة وقف يقول:

«اليوم أطلعوني بأنهم اعتقلوا بعض الخطباء وقادوهم إلى مراكز الأمن وقالوا لهم: ثلاثة أمور لا دخل لكم بها وما شئتم تحدثوا، لا دخل لكم بالشاه ولا تتحدثوا عنه، لا دخل لكم بإسرائيل، ولا تقولوا إن الدين في خطر، ونحن إذا وضعنا هذه المسائل الثلاث المهمة جانبًا فبأي شيء نتحدث مع الناس؟ إن مآسينا إنما هي مرتبطة بهذه الأمور الثلاثة».

ثم يقول: **«إن عملاء إسرائيل يقومون بأعمال تخريبية في إيران، والله أعلم بما يسرون من خطط أخرى، فعندما نتطرّق لهذا الأمر، يقولون لا تتحدثوا عن الشاه و إسرائيل! أترى العلاقة بين الشاه و إسرائيل، هل الشاه إسرائيلي؟»**

وجاء في نداء الإمام إلى الوعّاظ والخطباء الدينيين:

«إن النظام الحاكم المتجبر. النظام الشاهنشاهي. يتعاضد بكل قواه مع إسرائيل وعملائها، حيث سلمها الوسائل الإعلامية والدعائية في هذا البلد، وترك لها مطلق الحرية بالتصرف بها، وقد فسح المجال التام لها في النفوذ إلى الجيش والمؤسسات الثقافية وسائر الوزارات الأخرى، وأعطيت لها المناصب الحساسة في الدولة. عليكم أن تذكّروا الشعب دومًا بأخطار إسرائيل وعملائها في إيران، إن الركون إلى الصمت في هذه الأيام يعد تأييدًا للنظام المتجبر لأعداء الإسلام واحذروا عواقب الأمور».

إن الإمام يبين من خلال ما تقدم طبيعة العلاقة المشبوهة بين نظام الشاه المخلوع والكيان الصهيوني، و إلى أية درجة من التنسيق والتعاون وصلت هذه العلاقة الخبيثة التي أصبحت تشكل خطرًا حقيقيًا على الشعب المسلم في إيران وعلى مختلف شعوب الأمة الإسلامية، حيث إن الشاه يحرم الحديث عن الشاه نفسه وعن إسرائيل بالذات.

وتعليقًا على اعتراف الشاه بإسرائيل وتحالفه معها يقول الإمام(رض) مخاطبًا الشاه: «**أما أنتم ودولة تركيا التي اعترفت مبكرًا بإسرائيل فقد وقفتم صفًا واحدًا إلى جانب إسرائيل**».

إن الإمام من خلال هذاا لنص يحذرالشاه الذي أصبح مع إسرائيل وتركيا في خندق واحد في معاداة الشعوب الإسلامية الأخرى. إنه يبين أن ذلك يعود بأفدح الأضرارعلى الشعب المسلم في إيران ويسيء إلى سمعة هذا الشعب الطيب.. هذا الشعب الذي يقف بكل مشاعره مع إخوانه من الشعوب الإسلامية الأخرى.. إنه يرفض التحالف مع إسرائيل.. إن الإمام في ذلك يقول إن حلفاء إسرائيل ليسوا من شعبنا المسلم.. ويقول إن ديننا يلزمنا بمعارضة أعداء الإسلام ومخالفتهم، وقرآننا يقضي بأن نعادي كل من يعادي المسلمين.. هذه هي سياسة الإمام وهذا هو منطقه..

وفي هذه الأثناء لم يتراجع الإمام.. وأصروبكل قواه على موقفه تجاه إسرائيل والشاه في آن واحد.. مما أفقد الشاه أعصابه

فارتكب مجزرة في المدرسة الفيضية في قم حيث أرسل رجاله المسلحين إلى المدرسة وفتحوا رشاشاتهم على العلماء والجماهير المشاركة في مجلس عزاء الإمام الصادق(ع). ولكن هذا لم يثن الإمام عن مواصلة جهاده فأصدر بيانًا ردًا على المذبحة جاء فيه:

«**يظن حكام إيران الخونة أنهم يستطيعون بهذه الأعمال اللاانسانية وممارسة أساليب الضغط في إيقاف في مسيرتنا نحو تحقيق أهدافنا والتي هي إبادة الظلم والديكتاتورية والأعمال اللاقانونية وصيانة الدين الإسلامي والمحافظة على حقوق المسلمين، و إقامة العدل الاجتماعي..** ».

كما طلب في بيان آخر لاحق من علماء المسلمين والأساتذة والطلاب وسائر الفئات الواعية أن يعبئوا جميعًا طاقاتهم لخوض الكفاح ضد عملاء الاستعمار والصهيونية في جميع أنحاء إيران، واستنكار علاقات الشاه مع إسرائيل، كما دعا في البيان نفسه إلى دعم الشعب الفلسطيني ومساعدته.

إن هذه الروح الثورية التي أطلقها الإمام الخميني في تفجير الوعي الشعبي الإيراني تجاه الخطر الصهيوني ساهمت بشكل كبير في تعبئة الجماهير للوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني وقضيته ومعاداة الصهيونية وكيانها في فلسطين.

وبدأت لافتات وهتافات الجماهير الإيرانية الغاضبة تحمل شعارات معادية للصهيونية ومنددة بالشاه الذي أصبح بالنسبة لها (عميل

إسرائيل وأمريكا). ولم يجد الشاه أمام هذه التطورات إلا اعتقال الإمام، الذي ما إن سمعت الجماهير بخبر اعتقاله حتى خرجت كتلًا بشرية هادرة تهتف (الموت دونك يا خميني).. لكن الشاه الذي أعماه غرور أمر الجيش بالتصدي للجماهير فكانت مأساة (١٥ خرداد) التي استشهد فيها خمسة عشر ألفًا من مسلمي إيران.

ولقد عمّت موجة الغضب العالم الإسلامي احتجاجًا على ما فعله الشاه من اعتقال الإمام و إقدامه على مذبحة خرداد، وقد وجه الشيخ شلتوت شيخ الأزهر آنذاك نداءًا دعا فيه مسلمي العالم للتضامن مع مسلمي ومجاهدي إيران. وذلك في ١٩٦٣/٦/١٠م وقد جاء في هذا النداء: « ... في هذه الفترة تتعالى صيحات وتتكرر في وضح النهار اعتداءات.. ضحاياها علماء الإسلام في إيران والمبشرون في دعوة الله والقائمون على أمر دينه، وليس عليهم من مآخذ إلا أنهم يعلنون كلمة الله»، «.. وعلماء الإسلام في إيران قد تكرر الاعتداء عليهم ، ونالت السجون منهم،وحيل بينهم وبين الأمر بالمعروف الذي يطلبه الإسلام في كل قادر عليه، والنهي عن المنكر من كل مستطيع له.. »، «.. وفي تاريخ إيران نفسها خير شاهد ما لعلمائها من فضل يؤثر، وجهد يشكر وفدائية في سبيل الله والوطن لا تُنسى ولا تُجحد»، «ألا فلينتبه المسلمون في كل الأقطار والشعب المسلم في إيران إلى هذا الاعتداء الصارخ، وليعملوا على إنقاذ علماء إيران من طغاة إيران»، ثم ينهي شيخ الأزهر نداءه إلى المسلمين قائلًا: «فاشهد

اللهم أنّ اعتداءًا على حملة رسالتك قد وقع، إن رفع الأذى عن أوليائك فرض في رقاب المؤمنين بك وأنت نعم المولى ونعم المصير».

أمام هذا الضغط تم الإفراج عن الإمام الخميني، ليُعلن في خطابه التاريخي الذي ألقاه بعد أيام من إطلاق سراحه يقول: «**إننا نخالف بشدة، هذه المظاهرالاستعمارية، ونخالف هذا الفساد ونقول إن إسرائيل هي التي تضع برامجكم الإصلاحية، وعندما تريدون وضع أي برنامج للبلاد، فإنكم تمدون يد الذل صوب إسرائيل. إنكم تأتون بالخبراء العسكريين من إسرائيل إلى هذا البلد (إيران)، وتبعثون بالمقابل من هنا (إيران) إلى اسرائيل الطلبة، إننا نقول بعدم صلاح هذا العمل أيها السيد.. يا شعوب العالم إعلموا أن شعبنا ضد مشروع التحالف مع أسرائيل. إن الذي نفذ ذلك ليس شعبنا ولا علماء الدين، إن ديننا يدعونا إلى عدم التوافق مع أعداء الإسلام، وقرآننا يدعوإلى عدم التحالف مع أعداء الإسلام والوقوف ضد جموع المسلمين، إنكم (مخاطبًا الحكومة) تحالفتم مع اسرائيل، ووقفتم خلافًا لأحكام الإسلام في مواجهة المسلمين، إننا نقول كلامنا هذا.. ونتساءل، أيّ منّا رجعي؟ إننا في أقصى درجات المدنية، وكذلك الإسلام في أعلى درجات الحضارة والرقي!!** » في عام ١٩٦٤م.

لم تتوقف صيحة الحق عند الإمام وظل مصرًا على موقفه داعيًا له محرضًا العلماء والجماهيرالمسلمة لمتابعة المسيرة.. فهاهو بمناسبة

الذكرى السنوية لانتفاضة الخامس عشر من خرداد (٥ حزيران ١٩٦٤م) يقول:

«إن علماء المسلمين مكلفون بالدفاع عن أحكام الإسلام الأساسية، وعليهم أن يعلنوا عن رفضهم وغضبهم من إبرام التحالفات مع أعداء الإسلام واستغلال خيرات البلاد الإسلامية ليعلنوا براءتهم من إسرائيل وعملائها، أعداء القرآن المجيد والإسلام والوطن.. على أية حال، إننا مستعدون، و إن برامجنا التي تعد تجسيدًا للبرامج الإسلامية تشمل الدعوة إلى وحدة كلمة المسلمين، واتحاد الأقطار الإسلامية، والأخوة مع جميع طوائف وفرق المسلمين في شتى بقاع الأرض، والتحالف المبدئي مع جميع الأقطار الإسلامية في أرجاء العالم، والوقوف معها في مواجهة الصهيونية و إسرائيل وكل الدول الاستعمارية».

ثم في حديث له بتاريخ ١٠/٤/١٩٦٤م يقول:

«إن إسرائيل في حالة حرب مع البلدان الإسلامية، والحكومة الإيرانية تتعامل معها بكل الود والمحبة، وتضع تحت تصرفها جميع القنوات الدعائية والإعلامية، وتوفرلها التسهيلات اللازمة لإدخالها بضاعتها إلى إيران.

إن الشعب الإيراني يرفض بشدة تلك المساومات الرخيصة التي تنجزمع إسرائيل الخبيثة، والشعب الإيراني بريء من هذه الذنوب الكبيرة، إن من يقوم بذلك هي الحكومة التي لا يقبلها الشعب مطلقًا»..

بعد ذلك جاءت أيام المنفى إلى تركيا، ولكنها لم توقف الصيحة أبدًا.. وظلت قوية بمحبة الجماهير، بعد أيام من بيانه التاريخي السابق الذي أعلن فيه: «**فليعلم العالم بأن جميع مشاكلنا تنبع من أمريكا.. جميع مشاكلنا تنبع من إسرائيل، إسرائيل هي الأخرى جزء من أمريكا، وهؤلاء النواب هم أيضًا من أمريكا وهؤلاء الوزراء ايضا كلهم عملاء وصنايع أمريكا**».

نعم هذه هي المشكلة.. التي نظر إليها الإمام منذ البداية نظرة استراتيجية محددًا فيها ثالوث المشروع الاستعماري في المنطقة: أمريكا – إسرائيل – العملاء في الوطن الإسلامي.. إن هذه النظرة الاستراتيجية الشاملة الطبيعية لمعسكر الأعداء وللشعب والأمة هي.. هي مازالت قائمة وكأني به موجود بيننا الآن..

لقد رفض الإمام النظرة الجزئية للقضية الفلسطينية.. وذلك يرفض الحلول الجزئية التي تنتقص من الحقوق التاريخية المشروعة للشعب الفلسطيني.

فها هو في عام ١٩٦٤م يصدر بيانًا تعليقًا على مشروع تحويل نهر الأردن الذي ناقشه الحكام العرب في مؤتمر القمة يقول الإمام (رض) في هذا البيان:

«**.. إنني أسأل المسلمين قائلًا: لماذا تنازعون إسرائيل على نهر الأردن؟ إن فلسطين كلها مغتصبة، فاعملوا على إخراج الصهاينة منها أيها المتشاغلون بأنفسكم، كيف تتركون فلسطين محتلة**

وتذهبون للنزاع حول مياه النهر؟، إنكم عندما تختلفون معها على ذلك فإنكم اعترفتم بوجودها كحاكمة على فلسطين بل كدولة لها الحق في فلسطين»!!

إنه لا يريد أن يتعامل مع إسرائيل كواقع مفروض وموجود.. بل إنه يبين من خلال خطابه هذا أن إسرائيل مغتصبة وطارئة ويجب العمل على إزالتها واجتثاثها وليس التعامل مع إفرازاتها هذا التعامل الذي يُرَى فيه إقراروااعتراف بها.. إنه يدعو إلى التفجير الشامل الذي يقتلع هذه الغدة السرطانية و إلى الأبد..

وعندما أحرق المسجد الأقصى من قبل أعداء الإسلام هذا الحريق الذي أصاب المنبروالجزء الجنوبي من المسجد.. سئل الإمام(رض) عن إعمار المسجد فقال:

«لا ينبغي إعادة إعمار المسجد الأقصى ما دامت إسرائيل محتلة لفلسطين، كي تبقى جنايات وجرائم إسرائيل حية وظاهرة للمسلمين، مما يبعثهم على التحرك والعمل على استعادة الأراضي والمقدسات الإسلامية..) وقال: (لقد أحرقوا المسجد الأقصى ونحن نصرخ: دعوا آثار الجريمة باقية، في حين يوظف نظام الشاه حسابًا في البنوك، لإعادة بناء المسجد الأقصى وترميمه، وعن هذا الطريق يملأ جيوبه وخزائنه ويزيد من أرصدته، وبعد ترميم المسجد الأقصى يكون قد غطى وستر آثار الجريمة الصهيونية.. ».

هكذا يريد الإمام (رض) أن تبقى الجرائم التي ترتكبها إسرائيل شاهدًا على عدوانها وهمجيتها التي لم يسلم منها شيء حتى أماكن

العبادة لدى المسلمين أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، يجب أن تبقى هذه الجريمة محرضًا لكل المسلمين لكي يتحدوا من أجل مواجهة أعداء الإسلام..

إنه لا يريد من نظام الشاه العميل وكل الأنظمة العميلة التي تسارع دائمًا للتغطية على جرائم إسرائيل في فلسطين أن تعمل وبسرعة على إزالة آثار الجريمة التي تخدم أولًا إسرائيل.. وهكذا يستمر الإمام الخميني من منفاه كما كان في إيران مدافعًا عن الإسلام وعن فلسطين العربية المسلمة فاضحًا إسرائيل وممارساتها اللاإنسانية.

بين عامي ١٩٦٧. ١٩٦٨:

وعندما حلّت نكسة حزيران عام ١٩٦٧ بكل ويلاتها وأوجاعها.. هذه النكسة التي بينت عجز الأنظمة العربية عن مواجهة إسرائيل وتحطيم أهدافها في التوسع بالأرض العربية، حيث قامت دولة العدو في هذه الحرب باحتلال الأجزاء التي لم تغتصبها عام ١٩٤٨م من فلسطين وأجزاء أخرى من الأراضي العربية في هذه الأثناء لم يعد أمام شعب فلسطين إلا الكفاح المسلح الذي انطلق وتصاعد ليكون ردًا عمليًا على هزيمة ١٩٦٧م.. في هذه الأثناء وكما في غيرها كان الإمام (رض) حاضرًا وهاهي صيحاته تأتي مؤيدة.. ثائرة تحثّ أبناء الشعوب الإسلامية على تزويد أبطال البندقية الفلسطينية بكل أنواع الدعم المادي والمعنوي، ليتمكنوا من القيام بالواجب العظيم

الملقى عليهم، بل وصل الحد إلى إصدار فتاويه المشهورة بجواز صرف قسم من الحقوق الشرعية إلى أبناء فلسطين الذي يقاتلون الكيان الغاصب.

وفي جوابه على مجموعة من مسلمي فلسطين حول وجوب تقديم الدعم والإسناد الكافي إلى مسلمي فلسطين يقول:

«لقد قلت سابقًا وأقوله الآن، إن الكيان الإسرائيلي الغاصب، يشكل خطرًا عظيمًا أخشى أن تفوت الفرصة علينا، فيما لو سمح له المسلمون في التوسع، وعندها لا يمكننا الوقوف أمام توسعه، ونظرًا لأن احتمال الخطر يهدد أساس الإسلام فلابد لجميع المسلمين بشكل عام والدول الإسلامية بشكل خاص، أن يبذلوا كل جهدهم من أجل استئصال غدة الفساد هذه من المنطقة، وأن لا يتوانوا في تقديم المعونات إلى المدافعين عن فلسطين، وليبذلوا ما في وسعهم لدعم هذا الأمر الحيوي، فضلًا عن صرف حقوق الزكاة وباقي الحقوق المالية في هذا المجال. أدعو الله سبحانه وتعالى أن يعين المسلمين، ويمن عليهم بدوام اليقظة والحذر، وأن ينقذ بلاد المسلمين من شر أعداء الإسلام».

من خلال هذه الرؤية يحدد الإمام وبشكل دقيق أن الخطر الذي تشكله إسرائيل يستهدف الإسلام لذلك فإنه يدعو المسلمين كافة للدفاع عن فلسطين فهو يرى أن الصراع بين الإسلام والكيان الغاصب هو صراع بين قوى الشر وقوى الظلم من جهة والمسلمين من

أجل مواجهة بؤرة الفساد الخبيثة في منطقتنا.. يرى أن فلسطين هي قضية تخص المسلمين.. ولا يقف (رضوان الله عليه) عند حد بذل الجهد فقط ولكنه أيضًا يطالب بصرف الحقوق المالية من أجل مساندة الشعب الفلسطيني لمواجهة أعدائه الذين يعدّهم أعداء للإسلام والمسلمين كافة.

بين عامي ١٩٧١. ١٩٧٢م

يكرر الإمام فتواه مرة أخرى بوجوب صرف قسم من الحقوق الشرعية من الزكاة وحق الإمام، بما فيه الكفاية، للمجاهدين في سبيل الله، المرابطين في خطوط الشرف والمجد للقضاء على الصهيونية اللاإنسانية.

وفي بيان الإمام (رض) حول مساندة الشعب الفلسطيني بتاريخ ٣ رمضان ١٣٩٢هـ الموافق للعام ١٩٧٢م يقول:

«إن الطريق الوحيد لإرجاع العظمة والجلال والعز وللإسلام والمسلمين هو إحساس المسلمين الجدي، بمسؤولية الحراسة والذود عن الإسلام والحفاظ على الوحدة.. لابد أن يعلم الجميع أن أهداف الدول العظمى في إيجاد الدويلة الإسرائيلية في فلسطين لا يتحدد باحتلالها فلسطين وحدها وإنما يسعون من أجل تنفيذ مخططهم الذي يتضمن جر الأقطار العربية إلى المصير نفسه الذي انتهت اليه فلسطين، ولكن ورغم كل هذا، فإننا نلاحظ اليوم الجهاد الذي

يخوضه المناضلون الفلسطينيون بهدف تسلم مصيرفلسطين للفلسطينيين أنفسهم».

هكذا إذن يحدد الإمام الخميني مكمن الخطروالتهديد بالنسبة للأقطارالعربية فإسرائيل لن تكتفي باغتصاب فلسطين، بل ستبقى تمثل الشرطي الذي يتهدد هذه الأقطارويحافظ على مصالح الدول الاستعمارية في المنطقة؛ وهو من خلال تحذيره للدول العربية من هذا المخطط الذي يستهدف السيطرة الكاملة على المنطقة فإنه يضمن هذا التحذيردعوة الأقطارالعربية إلى مواجهة هذا الخطرمن خلال استخدام كل الأسلحة المتاحة من المعادن والثروات والإمكانيات الطبيعية الأخرى للعمل على الحد من نفوذ الدول الاستعمارية وقطع أيادي الصهاينة في فلسطين.

ولا يقف عند حد تحذيرالدول العربية، بل إنه يرى أن مخالب الاستعمارقد امتدت طويلًا لتصل إلى أعماق الدول الإسلامية حيث إن الاستعمارعبّأ فيها جميع قواته و إمكاناته بهدف بثّ التفرقة وتشتيت صفوف المسلمين، ويصل الإمام في نهاية بيانه إلى نتيجة هامة وهي أنه ورغم كل هذه الظروف الصعبة فإن الفلسطينيين تصدوا لهذا العدو وهم الآن يتحمّلون مسؤولياتهم من خلال الجهاد الذي يخوضونه ضد عدوهم وعدو العرب والمسلمين.

في عام ١٩٧٣م:

وعندما نشبت حرب تشرين عام ١٩٧٣م بين الدول العربية

و إسرائيل فإن الإمام الخميني دعا هذه الدول التي تحارب اسرائيل إلى الصمود والمقاومة وامتلاك الإرادة القوية في هذه المعركة المقدسة، كما أنه دعا كل دعاة التحررفي العالم إلى أن يضموا أصواتهم إلى أصوات الشعوب الإسلامية، استنكارًا للاعتداءات الاسرائيلية اللاإنسانية و إدانتها.. كما أنه بشر بالفتح والظفر والانتصارإذا التزم المجاهدون بالصبروتحمل الصعاب.

ففي نداء الإمام الخميني بعد بداية الحرب يقول:

«يجب على الدول التي تحارب إسرائيل الآن، أن تلتزم بالجدية في هذا الصراع الإسلامي المقدس، وأن تقوي إرادتها وتستقيم وتصمد في نهجها، وأن لا تغفل عن التواصي بالحق والصبرالذي يعد من الأوامرالإلهية للمسلمين المبشرين بالنصروالظفر».

عام ١٩٧٧م:

وعندما حدثت الخطوة الصاعقة والمفاجئة التي قام بها الرئيس المصري (أنورالسادات) عام ١٩٧٧م، لتكون بداية التنفيذ العملي لإضفاء الشرعية العربية على إسرائيل، بعد أن عملت هذه الأنظمة طويلًا من خلال الصخب والضجيج الإعلامي بأن إسرائيل دولة لا تقهر، وأن الدول العربية لا تمتلك الأسلحة التي تستطيع مواجهة ذلك الكيان حيث إن بعضهم اقتنع بذلك، وبعضهم الآخرلا يستطيع أن يغيرموازين القوى التي تدعم إسرائيل والوجود الصهيوني في فلسطين.. فكانت اتفاقية كامب ديفيد المشؤومة. وعلى إثرهذه

الاتفاقية قال الإمام الخميني (رض):

«إن اتفاقية كامب ديفيد، تعد مؤامرة تهدف إلى إضفاء الشرعية على الاعتداءات الإسرائيلية، وهي في النتيجة غيّرت الظروف والأجواء السائدة في المنطقة لصالح إسرائيل، وسببت الأضرار للعرب والفلسطينيين وهذه الحالة السائدة لن تقبل من قبل شعوب المنطقة» ثم يقول: «إن الشعب المسلم في إيران وجميع المسلمين والأحرار في العالم لا يعترفون مطلقًا بإسرائيل، و إننا سنبقى دومًا، نحمي وندافع عن الإخوة الفلسطينيين والعرب».

وهكذا كانت اتفاقية كامب ديفيد أول معاهدة صلح تعقد بين العرب و إسرائيل لتكون بداية النهاية لصراع استمر طويلًا – كما أرادوا – ولكن هذه المعاهدة قوبلت فعلًا بالرفض الشعبي العارم – كما تنبأ الإمام – وعلى الرغم من هذا الرفض الشعبي فإنها خلطت الأوراق في المنطقة وأصبحت مصالحة إسرائيل والاعتراف بها وجهة نظر، وهذا ما أراده الاستعمار ويريده من العرب، وهو فك طوق العزلة عن هذه الغدة السرطانية الخبيثة من أجل أن تنتشر وتسيطر على كل المنطقة حتى تتمكن من أن تشكل الذراع الطويلة التي تخدم مصالح الإمبريالية العالمية، وهكذا كانت المأساة في كامب ديفيد.

بين عام ١٩٧٨. ١٩٧٩

ومع اندلاع الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني في

مطلع عام ١٩٧٨م لم ينس الإمام أن يتابع ما يدورفي فلسطين وأن يصدرالنداءات المؤيدة للشعب الفلسطيني الداعية إلى الوقوف إلى جانبه ونجدته و إنقاذ فلسطين، كما كان يؤكد في كل فرصة، وفي غالب أحاديثه مع وسائل الإعلام إلى حد أنه قال في أحد نداءاته «**إن من أسباب ثورة الشعب الإيراني ضد الشاه هو حمايته اللامحدودة لإسرائيل وتأمينه لاحتياجاتها النفطية، ولأنه جعل إيران سوقًا للبضائع الإسرائيلية، إضافة إلى دعم الشاه المعنوي لإسرائيل مع أنه يتظاهربإدانتها كي يخدع العالم**».

أي أن الإمام وهو في عزانتصاره على الشاه وفي ذروة ظفرالثورة الإسلامية يبين ويفضح موقف الشاه المخلوع المؤيد والداعم لإسرائيل، ويربط بين أسباب قيام الثورة الإسلامية، ويعدّ أن أحد الأسباب الرئيسية لها هو موقف النظام المخلوع من إسرائيل وانحيازه الدائم إلى جانبها.

وعندما سأله مراسل محطة التلفزيون الأمريكي ABC (١٩٧٨/١٢/١م):

س: فيما لو سقط الشاه وتسلمتم السلطة مكانه فما التغييرات التي ستوجدونها حول العلاقة مع إسرائيل؟

ج: نحن سنطرد إسرائيل، ولن نقيم معها أية علاقة فهي دولة غابة ونحن أعداؤها.

س: هل يعني هذا أن إسرائيل لن تستفيد من النفط الإيراني.

ج : لن تستفيد مطلقًا.

س: لن يضخ النفط إلى إسرائيل مطلقًا؟

ج: نعم.

وفعلًا خسرت إسرائيل أكبر دعائم لها في المنطقة وخسرت الإمبريالية أكبر قاعدة لها، وتوقف النفط والمساعدات والدعاية والإعلان، وتحول كل ذلك في مواجهة إسرائيل وقوى الاستكبار الأخرى.

وعندما وصل الإمام الخميني إلى مطار طهران في ١٩٧٩/٢/١م حاملًا بشائر النصر النهائي، لم ينسَ وهو في المطار الإشارة إلى ارتباط النظام المخلوع بإسرائيل وقال: «**إذا ما استمر «باختيار» والجيش في مواجهة الشعب وبدعم من أمريكا وبريطانيا وقوات جيء بها من إسرائيل. كما فعل أسياده من قبل. عندها سنعرف كيف نواجهه ونقرر مصيره**».

ومع اشتعال الثورة الإسلامية.. وانتصارها في شباط ١٩٧٩ كان الحماس الإسلامي يصل ذروته في كل العواصم الإسلامية.. وفي يوم الانتصار كان المسلمون في كل مكان بعضهم يهنئ بعضًا بعد الفتح المبين. أما في فلسطين المحتلة فلم يكن للفرح الفلسطيني مثيل.. الأمة تُبعث هنا من جديد، فالذين عاشوا كل تلك السنين تحت الحكم الإسرائيلي، ويعانون من العذاب والإحباط واليأس في صحراء العرب القاحلة شعروا أول مرة منذ سنين أنّ تحرير بيت المقدس ممكن.. بل وقريب وأن المسألة مسألة وقت.. لقد أيقظت الثورة الإسلامية الجماهير المسلمة. أما في فلسطين فقد كان هناك

بعث جديد ونهضة جديدة.

واستقبل قادة منظمة التحرير الفلسطينية في طهران في الأيام التي تلت الانتصار كما لم يستقبلوا في أي مكان في العالم، واستقبل الإمام الخميني رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وسط أجواء احتفال مهيب..ولما حضروا التقى بهم الإمام في ١٩٧٩/٢/١٩م.. قال الإمام:

«إننا ومنذ خمسة عشر عامًا، كنا قد قلنا كلمتنا حول فلسطين، إن وجهة نظرنا تلك بصدد قضية فلسطين، مازالت على قوتها السابقة، وسوف نولي هذه المسألة (وجود إسرائيل) أهمية أكثر في المستقبل، وبعد أن نرمم الخرائب التي ورثناها في بلدنا في عهد الشاه».

وبعد ذلك جاء إعلان يوم القدس العالمي.. وأعلن الإمام الخميني مفجر الثورة الإسلامية في هذا العصر عن تحديد يوم الجمعة الأخير من شهر رمضان من كل عام هجري يومًا للقدس، وذلك لإعادة الاعتبار للقضية الفلسطينية التي كانت تقترب من نهايتها.. ومن أجل إعطاء القضية المركزية للأمة حجمها الطبيعي من الاهتمام. فهي قدس كل الأمة، وليست قدس الشعب الفلسطيني فقط أو العرب لا غير، ومن ثمّ فإن كل المسلمين مطالبون بالعمل من أجل التحرير بكل الوسائل والإمكانات المتاحة أمام تلك المئات المنتشرة في جميع أنحاء العالم الإسلامي الواسع.

ولهذا نجد الإمام يعبر عن مقولته عند إعلان تأسس يوم القدس:

«إن آخر جمعة من شهر رمضان المبارك تعد يومًا للقدس.. ويوم القدس مجاور لليلة القدر، فيجب على المسلمين أن يحيوه.. إن يوم القدس يوم عالمي.. لا يختص بالقدس، بل هو يوم مواجهة المستضعفين للمستكبرين.. إنه يوم مواجهة الشعوب المستضعفة لتعلن عن وجودها أمام المستكبرين.. إنه يوم مواجهة الشعوب المستضعفة لتعلن عن وجودها أمام المستبكرين.. إن يوم القدس، هو يوم الإسلام، ويوم إحياء الإسلام وتطبيق قوانينه في البلاد الإسلامية، وهو اليوم الذي لابد فيه أن يمتاز الحق عن الباطل.. نسأل الله تبارك وتعالى، أن ينجّي إخواننا في فلسطين وجنوب لبنان وفي شتى بقاع العالم، من ظلم المستكبرين والقراصنة الدوليين».

هكذا يربط الإمام بين إحياء يوم القدس العالمي و إحياء ليلة القدر حيث إنه يعد هذا الإحياء واجبًا دينيًا يجب على كل المسلمين إحياءه والقيام به، فهو أمر إلهي للدفاع عن الإسلام وتعاليمه، هذه التعاليم التي تحض على الجهاد في سبيل الله ومقاتلة الأعداء الذين استباحوا أرض الإسلام وعاثوا فسادًا بها، فهو هنا يعد المشاركة في إحياء يوم القدس جزءًا من الواجبات التي على المسلم القيام بها، كما أنه يطلب من كل المسلمين المشاركة في هذا اليوم الذي يعد يومًا لكل المسلمين وليس لشعب فلسطين أو للشعب العربي فحسب. فهو هنا يؤكد مرة أخرى على طبيعة الصراع ويحدد القوى المشاركة في هذا الصراع، فهي أولًا شعب فلسطين والشعب العربي والشعوب الإسلامية كل بقاع العالم، ومن جهة الأعداء: إسرائيل وكل من يقف وراءها من قوى الاستكبار والعملاء..

وأخيرًا نقول:

لقد أخذت القضية الفلسطينية موقعها في الخطاب الخميني من خلال أشكال متعددة لمعالجتها والتعامل معها.. فمنذ مطلع الستينيات في القرن العشرين وقبل الانطلاقة العلنية للثورة الفلسطينية دعا الامام الخميني كل المسلمين الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني لنصرة قضيته العادلة، واستمر هذا الاحتضان في جميع المناسبات.. وفي كل خطاباته وكلماته ونداءاته وبياناته كان يدعو إلى ضرورة دعم أبناء فلسطين، وأن لا يتركوا أمام العدو الصهيوني ليستفرد بهم من خلال آلته الإرهابية.

وعندما عاد رضوان الله عليه عودته المظفرة من باريس قال: (اليوم إيران وغدًا فلسطين..) فهبت الجماهير المسلمة في طهران وترجمت هذا الشعار واندفعت كالسيل الهادر نحو (سفارة إسرائيل) وأحرقت العلم الإسرائيلي ورفعت مكانه علم فلسطين وتحولت (سفارة إسرائيل) إلى سفارة فلسطين، وبذلك تكون الجمهورية الإسلامية في إيران أول دولة في العالم تقيم سفارة لفلسطين.

ولم يقف الإمام عند هذا الحد واستمر في احتضانه للقضية الفلسطينية إلى أن أعلن يوم القدس العالمي في آخر جمعة من شهر رمضان المبارك كيوم يتضامن فيه كل المسلمين مع فلسطين وقضيتها المباركة.

ويستمر نهج الإمام.. فها هو الإمام القائد السيد علي الخامنئي مرشد الثورة يعلن أن فلسطين جزء من الجسد الإسلامي وواجب المسلمين الغيارى في يوم القدس أن يهبوا لنجدة الشعب الفلسطيني المظلوم ودعمه.

مثلث الشاه وأمريكا وإسرائيل
في خطاب الإمام الخميني

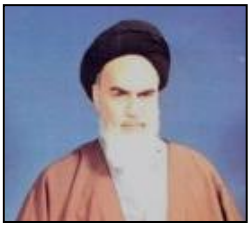

في الأيام الأولى لانتصار الثورة الإسلامية في إيران ظهر في الشارع الإيراني حماس غير عادي لقضية فلسطين، فالجماهير توجّهت بشكل عفوي إلى مبنى الملحقية التجارية (السفارة) الإسرائيلية في طهران، ورفعت فوقها العلم الفلسطيني مؤذنة بشكل أقرب إلى العفوي عن افتتاح أول سفارة لمنظمة التحرير الفلسطنية في العالم. ثم رفعت في مسيراتها وتجمعاتها شعار «**اليوم إيران وغدًا فلسطين**» وغدت الشعارات على الجدران وعلى اللافتات بشأن فلسطين تنافس نظيراتها بشأن الثورة الإسلامية.

وحين زار رئيس منظمة التحرير الفلسطينية طهران خلال تلك الأيام استقبل استقبالًا جماهيريًا عفويًا قلّ له نظير، وأصبحت كوفيته رمزًا يفتخر بارتدائها الشباب، وتدفق الفلسطينيون على طهران وغيرها من مدن إيران، واستقروا في بيوت جلاوزة الشاه الفارّين من إيران، كما تدفّق من إيران المتطوّعون والمتطوّعات بشكل غير مدروس وغير منتظم على مخيمات الفلسطينيين في لبنان للتدريب وحمل السلاح.

فما هي الخلفية التي حركت الجماهيرالإيرانية بهذا الاتجاه؟ ولماذا حافظت هذه الظاهرة إلى حدٍّ كبيرعلى حيويتها حتى يومنا هذا رغم ما واجهها من ألوان التهديد؟

«القومي» و«الرسالي» في التاريخ

الروح القومية فطرية في أي شعب أو قبيلة أو مجموعة بشرية، فهي مظهرمن مظاهرالتيموس الأفلاطوني الذي يحرك الجماعة لكسب اعتراف الآخرين بها، وبعبارة أخرى هو مظهرمن مظاهر العزّة التي يسعى إليها الفرد والجماعة فطريًا.

والروح القومية في إيران تسندها حضارة فارسية عريقة كانت لها مكانتها الكبرى على الساحة العالمية، حتى ظهرالإسلام فقدم المشروع الرسالي لعزّة الإنسان، ففتح إيران بهذا المشروع، وكان من عظمته أنه وقف من الظاهرة القومية موقفًا لم يجعل الإيراني يحسّ بأية حالة من الإذلال القومي. ولذلك سخّر كلّ رصيده الحضاري لخدمة الدين الجديد.

ولكنَّ الإيرانيين رأوا من بعض الولاة في عصرالخلافة الراشدة أو من بعض القبائل العربية المهاجرة نوعًا من الاستعلاء القومي، فتململوا، ولكنّ الإمام علي(ع) في عصرخلافته أنقذ الموقف ونقل مقرّخلافته إلى الكوفة ليكون قريبًا من الإيرانيين، وليقدّم تجربة

إسلامية رائعة ألغت مرة أخرى كل الامتيازات القومية والقبلية، وأعادت معيارالتقوى بقوّة، وفرضت عدالة صارمة في التعامل الاجتماعي والقضائي والاقتصادي وبذلك تفاعل الإيرانيون مع هذه التجربة، وترسّخت معالمها في أذهانهم، وجعلتهم ينشدونها حين ادلهمّت الخطوب في العصرالأموي وسادت العصبيات القومية والقبلية، مما أدّى إلى تحرك إيراني تحت راية «الرضا من آل محمد» لاستئصال شأفة الأمويين.

غيرأن الآمال خابت في إقامة الحكومة العلوية، وعمد العباسيون إلى ممارسة ألوان الغدرمن أجل تثبيت حكومتهم، من ذلك الغدر بالقادة الإيرانيين الذين وطّدوا لهم الحكم، وكادت الخيبة تسري إلى الرسالة الإسلامية نفسها، لولا موقف الدعاة من آل البيت الذين أعادوا إلى الأذهان المشروع العلوي في الحكم. وبين عوامل الخيبة والأمل ظهرت في إيران حركات قيل إن بعضها أعلن تخلّيه عن المشروع الرسالي ولجوئه إلى العامل القومي، مثل حركة به آفريد، وسنباد، واسحاق ترك، والراوندية، والأستاذ سيس، والمقنّع، غيرأن الغالبية العظمى من الجماهيرالإيرانية كانت منحازة إلى المشروع الإسلامي، وهي التي قضت على هذه الحركات القومية.

وظلّ الإيرانيون منحازين إلى المشروع الإسلامي يقدّمون كل ما عندهم من رصيد حضاري لنموّ دوحة الحضارة الإسلامية، ورفضوا

أية نزعة استعلائية قومية داعين إلى المساواة بين العرب والعجم، وأيدهم في ذلك الرساليون من العرب والجماهيرالعربية المتدينة، كما تجلّى شوقهم إلى النموذج العلوي في انضوائهم إلى الحركات التي ترفع راية العدالة العلوية، حتى أصبح للإيرانيين حكوماتهم المستقلة، لاعن العرب والإسلام، بل عن سلطة الخلافة العباسية التي فقدت قدسيتها في أنظارهم.

وبقي الإيرانيون في ظل الحكومات الإيرانية المتعاقبة والمتزامنة مثل الدولة السامانية والزيارية والعلوية والبويهية وحتى الصفوية والقاجارية يجعلون الروح القومية الإيرانية في خدمة المشروع الإسلامي للحياة، ولا يرون أي انفصال بين القومية الإيرانية والإسلام، ولا بين الإيرانيين والعرب.

أردت بهذا العرض التاريخي أن أخلص إلى مايلي:

١ـ نجح الإسلام في إيران أن يسخّرالقومية الإيرانية لخدمة المشروع الإسلامي، دون أن يلغي الخصوصيات القومية للإيرانيين مما لا يتعارض مع الدين.

٢- نجح آل بيت الرسول الله(ص) في إنقاذ الموقف، متى ما تعرّض الإيرانيون إلى حالة الإذلال والاستعلاء القومي، ولذلك ترسخت الروح الإسلامية في إيران على مرّالعصور، ولم تتكررفيها تجربة الأندلس.

٣- إن ارتباط إيران بالعرب يقوم على أرضية رسالية، ويقوى هذا الارتباط ويضعف بمقدار قوة المشروع الإسلامي وضعفه في إيران.

٤- إن التمازج الحضاري بين إيران والإسلام والمساهمة الإيرانية الواسعة في الحضارة الإسلامية وفي جميع العلوم المرتبطة بهذه الحضارة بما في ذلك علوم اللغة العربية جعل الإسلام دينًا وحضارة ولغة جزءًا من الهوية القومية للفرد الإيراني.

«القومي» و«الرسالي» في حركة الإمام الخميني

بدأ الإمام خطابه بالحديث عمّا يهدّد مصالح إيران القومية من قِبَل أمريكا والصهيونية، ودعا الشاه إلى التحرر من نير الإرادة الأجنبية والحفاظ على عزّة إيران وكرامتها. وهذا الخطاب حين يصدر من مرجع ديني فإنه يعني تسخير المشاعر القومية والوطنية في صالح المشروع الديني.

وبمرور الأيام دخل الإمام الراحل في مواجهة مباشرة هائلة سخّر فيها كل عواطف الجماهير أمام مثلث الشاه أمريكا إسرائيل.

وكانت عظمة هذا الخطاب تتجلّى في قدرته على دفع القوى القومية العلمانية الإيرانية إلى الانزواء بعد أن تحوّلت نهضته إلى بركان للدفاع عن المصالح القومية لإيران تحت راية الإسلام. كما دفع اليسار إلى الانزواء بعد أن أصبح في طليعة الثوار المعادين

للامبريالية الأمريكية في العالم.

كما أن تأكيده المستمر على القضية الفلسطينية وكأنها جزء من قضية إيران، وعلى الخطر الصهيوني وكأنه خطر يحدق بإيران قبل أن يهدد العالم العربي، جعل الصراع بين جبهتين: الإسلامية التي تتحقق في ظلها عزّة إيران وكرامتها، وجبهة أمريكا والصهيونية التي تستهدف إذلال المسلمين والسيطرة على مقدراتهم و إهدار كراماتهم.

والواقع أن القضية الفلسطينية خدمت مشروع الإمام الخميني بقدر ما خدمها، فهي كانت مركز الثقل الذي يستند إليه الإمام في إحياء مشروعه الإسلامي الداعي إلى وحدة الأمة الإسلامية ووحدة قضاياها، وضرورة الوقوف صفًا واحدًا تجاه ما يواجهها من أخطار وتحديات. كما أنها أيضًا خدمت بشكل كبير مشروعه في مواجهة الفصل بين «القومي» و«الإسلامي» وجعلت قضية الإيرانيين والعرب واحدة هو التحدي الصهيوني.

من هنا نفهم سبب مواقف الشارع الإيراني من القضية الفلسطينية بعد انتصار الثورة الإسلامية، ومن هنا نفهم أيضًا سبب الحساسية البالغة التي أبداها الشارع الإيراني تجاه أمريكا.

فالشارع الإيراني شُحن فكريًا ونفسيًا بضرورة مواجهة مثلث

الشاه والصهيونية وأمريكا، وهذا الشحن تواصل بعد سقوط الشاه، واليوم نستطيع أن نفهم أكثر من أي وقت مضى سبب مواصلة الإمام لهذا الشحن، وسبب تحذيره المستمر من التنازل أمام التهديدات الأمريكية الصهيونية.

وهنا نشير إلى أن ارتباط مثلث الشاه –الصهيونية –أمريكا اتضح للإيرانيين بالوثائق بعد الثورة حين جمع الشباب الإيراني ما حصلوا على جذاذاته في السفارة الأمريكية ونشروه في مجلدات خاصة بعنوان: «محتلو القدس» و«أمريكا حامية محتلي القدس» و«فلسطين –١» و«فلسطين –٢».

وحين يمتزج القومي مع الإسلامي في حركة مستقبلية يدخل كل الموروث الثقافي ليشكّل حوافز هذه الحركة ورموزها.

* إذا اقترنت العاطفة القرآنية بالفكر والعقيدة فإنها ستتبلور في شكل حركة عملية قرآنية.
* إذا اقترن الجانب العقلي بالجانب العاطفي فإن ذلك سينتج الحبّ والعشق، وبذلك نتغلب على كل مشاكلنا.
الإمام الخامنئي

الإمام الخميني
الفرصة والتحدّي

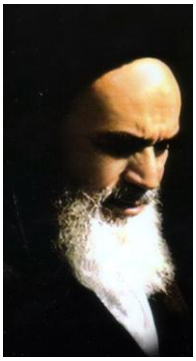

الإحياء الثقافي أكبر تحدّ يواجه المسلمين.

مشكلتهم الأساسية هي «الفتور» كما يقول الكواكبي، والفتور تعبير آخر عن الركود الثقافي، وهذا الركود يستتبعه عادة ركود في الإنتاج الحضاري، وابتعاد عن أداء الدور المطلوب على الساحة العالمية..

إذا رأيت في أمتنا تمزّق وتشتت، إذا شاهدت فيها ألوان الصراعات، إذا تسلّط عليها من يسومها سوء العذاب، إذا شعرت فيها روح الهزيمة والتخاذل والاستسلام، إذا ألفيت فيها ألف ضعف وضعف، فإنما يعود ذلك إلى الركود الثقافي.

والركود علاجه الإحياء.. والإحياء يحتاج إلى مشروع إحيائي ينطلق من ضمير الأمة ووجدانها وعقيدتها، ويستوعب الظروف المعاصرة.. كما يحتاج أيضا إلى القيادة التي تثبت إخلاصها للأمة، فتقودها نحو تحقيق هذا المشروع. كل ذلك توفّر في ظاهرة «الخميني».. وبانبثاق هذه الظاهرة وما حققته من انتصار على أكبر تحدّ في عالمنا الإسلامي دبّت الحياة في جسد الأمة، فظهرت

الصحوة.. والانتفاضة.. وبوادر استئناف مسيرة الحضارة الإسلامية، على مستوى متطلبات العصر.

لكن هذه الظاهرة حفّزت كلّ أعداء الإحياء الإسلامي لمواجهتها.. بالحرب الثقافية والإعلامية والاقتصادية والعسكرية والمخابراتية والإرهابية.. فصيّروا منها ظاهرة أخافت بعض الحكام، وشوّهت الصورة أمام بعض المثقفين، وأثارت حساسيات طائفية وقومية لدى الغافلين.. دعك من العملاء والمرتزقة والحاقدين الذين جندهم أعداء الإحياء لتطويق هذه الفرصة الإحيائية.

غير أن عملية الإحياء الخمينية يبدو أنها من العمق في النفوس بحيث أن براعمها تفرّع وتورق وتثمر هنا وهناك، حتى لم تعد نقطة في العالم الإسلامي إلاّ وتجد آثار هذا الإحياء رغم كل عمليات التطويق.

وثمة مسألة أهمّ هي أن ما أحاطوا به هذه الظاهرة من مخاوف وهواجس بدأت تتكشف، وبدأت الغيوم تنقشع لتظهر الصورة الحقيقية لهذا الرائد الإحيائي الكبير. بدأ الحديث يدور في المحافل الفكرية والأدبية عن عرفان الإمام الراحل وأدبه وشعره، واهتمامه بعزة المسلمين حكامًا وشعوبًا، وبدأوا يراجعون تحذيراته إلى أصحاب القرار في العالم الإسلامي من الغزو الأمريكي الذي يريد أن ينزع منهم القرار، ويجعل منهم منفّذين لمشروع الإذلال دون أن يكون لهم حول ولا قوّة.

بدأ العالم الإسلامي يفهم ما كان يقوله هذا الإحيائي الكبيرعن العدو الصهيوني، ويعلم أن موقفه من هذا العدوّلم يكن موقفًا سياسيًا فقط، بل هو جزء من مشروعه الثقافي الرامي إلى عزة المسلمين. فقد كان يرى في الظاهرة الصهيونية بأنها زُرعت من أجل صدّ حركة العالم الإسلامي عن استعادة عزته وكرامته وحياته ودوره الحضاري.

وهاهي الصهيونية العالمية تتتحرك اليوم بوقاحة وصراحة وسرعةٍ لإذلال بلدان العالم الإسلامي حكامًا وشعوبًا، وللوقوف بوجه كل تقدّم علمي في بلدان المسلمين، ولمحاربة حتى البلدان العربية التي طبّعت علاقاتها بالعدو، ولا تتورع في هذا المحاربة عن كل السبل القذرة بما في ذلك نشرالعهروالفساد وشراء الذمم ونشرالايدز و إشاعة المخدرات ودعم الارهاب.

إن الخمينية فرصة لعزة المسلمين حكامًا وشعوبًا، لكنها فرصة محاطة بألوان التحديات، وعسى أن يرتفع مستوى وعي العالم الإسلامي إلى مستوى مواجهة هذا التحديات.

التوازن في نهج الإمام الخميني(ره)

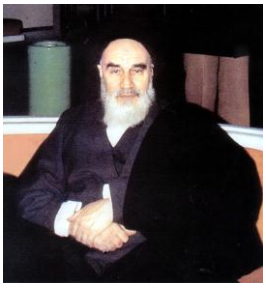

من الأحداث المهمة والمؤثرة في عالمنا الإسلامي المعاصر، انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وحرم قاعدة الاستكبار الأمريكي ، والسعي لإقامة حدود الله فيها.

وما كان ليتحقق هذا لولا قيادة رشيدة حازمة وصارمة من جهة، ولطيفة وحميمة من جهة أخرى؛ تعتمد العقل والعاطفة، لصالح الأهداف العليا للأمة الإسلامية، وما يخص الشعب الإيراني منها.

وأهم خصيصة في قيادة هذه الثورة ، المتمثلة في قيادة الإمام الخميني الراحل (قدس) هي: التوازن في الأفكار والسلوك انطلاقًا من الأمر الواقع الذي فطر عليه الإنسان ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.

* * *

وفي الحقيقة التوازن صفة إلهية سماوية يتخلق بها الإنسان الحكيم، فكما أن الله تعالى شديد العقاب بالنسبة للمشركين والظالمين والغفور الرحيم بالنسبة لعباده المستضعفين والتائبين: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ﴾ فان الإنسان المسلم يوازن في شخصيته بين الخوف والرجاء.

و إذا كانت الأمنية الكبرى هي الفوز بالجنة والآخرة، فإنها لا تنافي السعي في الدنيا بجانبها الايجابي الموصل إلى الهدف السامي

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾.

من هذه الرؤية السماوية كانت انطلاقة الإمام الراحل في مسيرته المتوازنة، الفكرية والفقهية والجهادية ... ، ونحن نشيرهنا إلى نماذج من التوازن العملي والفكري في حركته السامية:

١.التوازن في الجانب الفكري والفقهي:

أ ـ عندما نتتبع آراء الإمام الراحل وأفكاره في إدارة الشؤون الحياتية والاجتماعية نرى بصيرته الجامعة، بين مقتضيات العصر زمانًا ومكانًا، والأصالة الإسلامية، فكرًا وفقهًا ونهجًا، فإصراره المستمرعلى إعمال الاجتهاد (بالمصطلح الفقهي) الذي كان يعبر عنه تارة (بالفقه الجواهري) ، وهو يضمن الأصالة، وتأكيده على تغير الأحكام بتبدل الموضوعات والأعراف والآداب ، كما هو الحال في لعبة الشطرنج وبعض الأمورالأخرى يشكل اصرارًا على المعاصرة والمعايشة المستمرة للتغيرات والتعقيدات.

ب – الإصرارعلى تطبيق جميع الأحكام الإسلامية والمرونة أحيانا في كيفية تطبيق تلك الأحكام، مع الأخذ بنظرالاعتبارجميع القواعد الأصولية والفقهية المساعدة ، كقاعدة التزاحم، الناشئ من تطبيق بعض الأحكام التي تؤدي إلى آثارسلبية تفوق مصلحة التطبيق ، وكذا العمل وفق العناوين الثانوية المستندة إلى اختيارات الحاكم الفقيه في دوائرالمباحات، مع ملاحظة المصلحة العامة.

جـ – الإيمان بالحكم الإلهي المطلق، من جهة، واحترام آراء الشعب في صياغة او صناعة مسيرته الاجتماعية والسياسية.. في المساحة التي تفتحها الشريعة لذلك من جهة أخرى؛ فتحقيق إرادة

الشعب وفق أحكام الشريعة السمحاء أمر نموذجي قدمه الإمام الراحل للعالم الإسلامي، فكانت الجمهورية الإسلامية تبتني على أصلين أساسيين. الولاية الإلهية، وحاكمية الشعب على مقدراته.

د – النشاط الثوري والإصلاحي:

من طبيعة الحركة الثورية ان تكون تغييرية جامعة، متقدمة إلى الإمام بدون التقيد بنسق خاص معين، تقلب ماكان وتحدث ما يكون، لكن الذي تحقق هو أن هذه الحركة الثورية تمت وفقًا لأطر منضبطة تسمح وتفسح المجال لعملية الإصلاح الجانبي المثمر، والجامع بين الحركة الثورية والحركة الإصلاحية في نسق منسجم.

هـ – التوازن في السلوك الشخصي.

لقد كان الإمام الراحل من الفقهاء والعرفاء المنقطعين إلى الله سبحانه وتعالى، فهو الزاهد في الدنيا، بما فيها من مغريات ، ولكنه لم يكن بعيدًا عن الحياة السياسية، والنشاط الاجتماعي الذي أدى إلى الإطاحة بنظام طاغوتي عنيد، واقامة جمهورية إسلامية، و إحياء شعب بأكمله بهديه نحو الله، ولقد كان قويًا وشديدًا يقف ضد أعداء الإسلام ، مهما كان سلطانهم وجبروتهم، لكنه كان متواضعًا عطوفًا امام المستضعفين ﴿أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾، ويرى أن هؤلاء هم أولياء النعمة للقادة والمسؤولين في البلاد.

إننا اليوم بأمس الحاجة إلى مثل هذه الشخصية النموذجية، لنتخذ نهجه نبراسًا في حياتنا الفردية والاجتماعية لاداء التكليف الرسالي.

حوافز في خطاب الإمام الخميني
تجاه القضية الفلسطينية

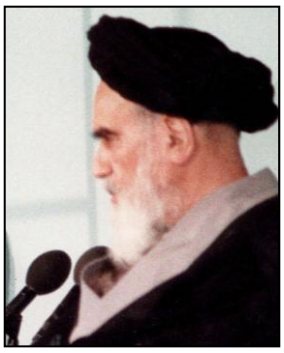

من خصائص خطاب الإمام الراحل تأثيره البالغ على عواطف الأمة ومشاعرها وأفكارها، ولم يكن هذا التأثير محدودًا بفئة دون فئة، بل شمل كل الفئات، ابتداءًا من أساتذة الجامعة وحتى المزارعين في القرى والأرياف، ويعود ذلك إلى أنه ركز على محفزات ترتبط بفطرة الإنسان عامة، وبالموروث التاريخي والثقافي للإيرانيين وهذه وقفة عند بعض هذه الحوافز في خطابه تجاه القضية الفلسطينية:

الدفاع عن المقدسات

القدس حاضرة في كل أدبيات الثورة الإسلامية بشأن فلسطين وفي فنونها و إعلامها. فبيت المقدس والأقصى يرمزان إلى المقدس في القضية الفلسطينية، والمقدس بما له من بعد غيبي لا متناه يشدّ الفرد والجماعة البشرية نحوه إيمانيًا، ويزوّد المسيرة بعطاء متواصل، ويدفع إلى التضحية من أجل الحفاظ عليه.

حتى النظم الوضعية تحتاج إلى قدسية تجسّدها في العَلَم وفي

الدستوروفي تراب الوطن من أجل شدّ الجماهيربالنظام.

والمقدس في القضية الفلسطينية يستوعب كل ذرة من تراب هذا الوطن الإسلامي، لكنه يضمّ أيضًا رموزًا تشكل عامل شد وتحريك لكل المسلمين، إلى جانب ما فيها من رموزمقدسة يشترك فيها المسيحيون والمسلمون.

والمقدس يمكن أن يكون وسيلة لقياس مافي الأمة من حياة ويستطيع العدوّ من خلاله أن يجسّ النبض ويعرف مستوى الحيوية. من هنا فإن احتلال الصهاينة للقدس وتدنيسها بأقدام القتلة كان يستهدف الإعلان عن انتهاء هذه الأمة.

لكن ردود الفعل المناسبة وخاصة انتفاضة الأقصى بدّدت آماله، ولهذا رأى الشارع الإيراني في انتفاضة الأقصى أنها إعلان عن وجوده هو، ودفاع عن كرامته هو، وهذا التفاعل مع الانتفاضة في إطار الدفاع عن المقدس من أهم رموزحضورالقضية الفلسطينية في الشارع الإيراني.

المشاركة الجماهيرية العامة في يوم القدس (آخرجمعة من شهر رمضان المبارك)، لها دلالاتها الكبيرة على أنّ الإمام انطلق من مقدسين (رمضان والقدس) ليكونا من حوافزخطابه.

في مسابقة «طريق القدس» التي أجراها مركزالدراسات الفلسطينية ولجنة الدفاع عن الثورة الإسلامية الفلسطينية بطهران في موضوع رسوم الأطفال تقدم ١٣٤٢٢ متسابقًا من تلاميذ الابتدائية

والتوجيهية والثانوية الإيرانيين، وقدّموا لوحات رسوم ترتبط بانتفاضة الشعب الفلسطيني، وقلّما نجد لوحة تخلو من صورة بيت المقدس ببنائه المضلع وقبته، مما يدلّ على عمق المقدس الفلسطيني في وجدان الشارع الإيراني.

كما أن رسوم الفنانين الإيرانيين والأناشيد الفلسطينية الإيرانية قلّما تخلو من القدس وبيت المقدس وقبة الصخرة والأقصى، وكلنا نتذكر عمليات «طريق القدس» في ردّ العدوان على الجمهورية الإسلامية وما حققته باسم هذا المقدس من انتصار. وهكذا انشداد الإيرانيين بمسلسل «طريق القدس» يحكي عن التعاطف النفسي مع الأمير العربي الحمداني في الدفاع عن المقدسات، ووجود «ساحة القدس» و«شارع القدس» إلى جانب «ساحة فلسطين» و«شارع فلسطين» في طهران والمدن الإيرانية الأخرى، تنمّ عن رموز القدسية في قضية فلسطين لدى المجتمع الإيراني.

مظلومية الشعب الفلسطيني

أظنّ أن أدبيات الثورة الإسلامية ووسائل إعلامها تنفرد في إطلاق صفة «المظلومية» على الشعب الفلسطيني والانتفاضة الفلسطينية، فهذه الصفة قد تكون سلبية في كثير من الأذهان، لكن الذهنية الإيرانية الإسلامية يتداعى لها «مظلومية» كل أصحاب الحقّ في التاريخ، وخاصة في التاريخ الثوري الإسلامي وفي قمته تاريخ واقعة

كربلاء. والمظلوم وفق هذه الذهنية ليس المقهوروالمهزوم، بل هو طالب الحق الذي قل عدده وعدّته، لكنه يأبى الذلّ ويرضى أن يتعرّض لألوان الظلم دون أن يتنازل عن حقّه.

يظهرمن العمق النفسي الإيراني أنه تعرض على مرّالتاريخ القديم لألوان الظلم من السلالات الحاكمة التي كانت تسخّرالشعب لأهوائها وفتوحاتها، ولعلّ هذا هو العامل الذي جعل الإيرانيين يحتضنون بضعة آلاف من المسلمين في الفتح الإسلامي ويساعدونهم على تسخيرإيران رغم كل ما كان لكسرى من قدرة عسكرية تنافس قدرة الروم. ولعلّ هذا أيضًا هو العامل الذي حال دون أن يستطيع المسلمون فتح بلاد الديلم في القرن الأول والثاني، لأن الديلم كانوا لا يفرقون بين هؤلاء الفاتحين الجدد وبين المقاتلين من أجل الهيمنة والنفوذ، لذلك ظلوا على دينهم حتى جاءهم «المظلومون» من العلويين الفارين من السلطة العباسية، فاحتضنونهم، ودانوا بدينهم ومذهبهم ، ثم انتصروا لهم بعد أن أسسوا الدولة البويهية في إيران والعراق.

الإمام الخميني انطلق من هذه الخلفية النفسية للإيرانيين حين استثارهم في مسألة «الفيضية». فقد أضرم النارفي الشارع الإيراني حين تحدث بصوت باك عن مظلومية طلبة المدرسةالفيضية.. كما أنّ صورة «المظلومية» التي أحيط بها بعد أن أجبرعلى مغادرة النجف، فظلّ حائرًا حتى ألقته المصادفات في باريس، هذه الصورة كانت

المسمارالأخيرالذي دقّ نعش الشاه وأقامت إيران ولم تقعدها إلاّ بعودة الإمام من منفاه إلى أرض الوطن.

وحين تصاعد التآمرالداخلي في بداية الثورة ضد الخط الإسلامي الملتزم ومن رموزهذا الخط الشهيد الدكتوربهشتي، تحدّث الإمام في اليوم التالي لانفجارالحزب الجمهوري الإسلامي بلغة قلبت المعادلة تمامًا لصالح الخط الإسلامي. وما كانت هذه اللغة سوى «مظلومية» الشهيد بهشتي.

والمظلوم بسبب هذه الخلفية النفسية التاريخية محبّب إلى نفوس الإيرانيين، وإن كان محببًا لدى كل الذين يقفون في صفّ المظلومين لمقارعة الظالمين، لكنه لدى الإيرانيين يرتبط أيضًا بكل من يقدسونهم في التاريخ من أمثال علي وفاطمة والحسن والحسين وزينب وأبي ذروياسروسميّة وعمّاروغيرهم من الصحابة والتابعين.

الرسوم والأفلام والمسلسلات الإيرانية حول فلسطين تحكي عن شعب وادع هادئ يتعرّض للإرهاب والوحشية، وتتحدث عن مقتل الأطفال والنساء والشيوخ. وتتحدث عن أرض سليبة وعوائل مهجّرة ومخيمات مبثوثة، وعن مجازرتعرّض لها المشردون في المخيمات، وكلها تلتقي مع الوجدان الإيراني المتعاطف مع المظلوم، وتبقي القضية حيّة في النفوس وفي يوميات الإنسان الإيراني.

حتمية انتصارالمستضعفين

هذه سنة قررها القرآن الكريم، لكنها في الوجدان الشعبي

الإيراني عميقة الجذور، ترتبط بما واجهه على مرّالتاريخ من مرارة لم ينهزم أمامها لإيمانه بأن «بايان شب سيه سفيدي است» = نهاية الليل القاتم الصباح الأبلج. وهذا الإيمان المتجذّرالتقى مع فكرة المهدي المنتظرعليه السلام، فأصبحت قضية المهدي تعيش جنبًا إلى جنب مع قضية كربلاء في وجدان الإنسان الإيراني.

مرّت على الإيرانيين طوال التاريخ ظروف ترغم كل شعب على اليأس والقنوط والاستسلام، لكنه التفّ على هذه الظروف وحوّلها لصالحه. وفي العصرالحديث مرّبتجارب كثيرة رسخت هذا الإيمان في أعماقه. من ذلك الانتصارالإسلامي الذي تحقق في أرض الهيمنة الإمريكية والصهيونية، ومن ذلك نجاح المقاومة في صدّ حرب عالمية ضد إيران استمرت ثماني سنوات. ومن ذلك نجاح التصدي للمقاطعة الاقتصادية والإرهاب والمحاصرة السياسية.

من هنا لا يمكن أن تسود في الشارع الإيراني يومًا فكرة انتهاء القضية الفلسطينية حتى في أحلك ظروف استسلام القيادات أو البطش الصهيوني، بل يرى أن نهاية النصرقد اقتربت كلما ادلهمت الخطوب وتفاقمت الأوضاع.

وعبارة: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الاسراء:٨١) تحتل مساحة واسعة في الأدبيات والإعلام والشعاروفي رسوم الأطفال، معبرةً عن حتمية انتصارالحق على الباطل. ومن المسلمات التي لا ترديد فيها أن الشعب الفلسطيني قد حرم من حقّه

في أرضه وفي عودته ومن سائر حقوقه بوطنه. ولا يمكن أن يفرض الواقع نفسه مهما طال الزمن في تغييب فكرة «الحق» لدى الإنسان الإيراني، فالحق مقدس عنده، الحق هو الله في الأدب الفارسي وفي الخطاب اليومي الإيراني، والحق ارتبط بشخصية علي في مواجهة الباطل، لذلك فإن عبارة «حق با علي» = الحق مع علي، من التعبير الشائع في الشارع الإيراني، وقد يكون مستلهمًا من الحديث الشريف: «علي مع الحق والحق مع علي».

فالحق مقدّس والمدافعون عن الحق منتصرون لا محالة، مهما قلّ الناصر، وعبارة: «الدم منتصر على السيف» = «خون برشمشير بيروز است» جاءت من الإمام لتنسجم مع نبض الشارع الإيراني، فتحولت إلى شعار للثورة، ثم إلى شعار للقضية الفلسطينية. ثم إن ثورة الحجارة تندرج في سياق القدرة الفائقة للحجر على ردّ كيد المعتدين، وعلى مفعوله المعجز في الانتصار على الدبابة كما يُرى في رسوم الإيرانيين ومسرحياتهم عن الانتفاضة.

والفجر الذي يظهر في كثير من الأعمال الفنية الإيرانية بشأن فلسطين، والحصان الأبيض الذي يُرى في بعضها الآخر يدلّ على الأمل في المستقبل وحتمية انتصار الحقّ في النهاية.

عالمية الخطر الصهيوني الأمريكي

النظرة الشعبية لإسرائيل أنها جزء من ظاهرة عالمية تريد أن تسيطر

على مقدرات العالم، وهذه النظرة تنطلق من معاناة الإيرانيين من الصهيونية في زمن الشاه، وسيطرة الصهاينة وأمريكا على مقدّرات إيران. من هنا فإن الخلاف مع الصهاينة ليس على هذا الجزء أو ذاك الجزء من أرض فلسطين ولا أيضًا على أرض فلسطين بأجمعها، بل الخلاف على المخطط الصهيوني للاستعلاء على كل العالم وجرّ البشرية إلى حالة من الانحدار بحيث يمكن السيطرة عليها.

ولهذا فإن الشارع الإيراني رفض كلّ ما يسمى بمحادثات السلام جملة وتفصيلًا، وخطابه هو الخطاب الوحيد الذي يعلن أن حلّ مسألة فلسطين يكمن فقط بتحريرها من براثن الصهيونية.

ولذلك لا تجد الفئة التي تعتقد بانفصال القضية الفلسطينية عن المصالح الوطنية الإيرانية، أو التي تدعو إلى موقف إيراني يبعد عن إيران خطر هجوم إسرائيلي صدى في الشارع الإيراني، بسبب هذا الفهم لطبيعة الصهيونية.

والملفت للنظر في موقف الشارع الإيراني من أمريكا أنه ينفرد في المجموعة الإسلامية بعدم انجراف فئاته الإسلامية منذ الخمسينيات مع المشروع الأمريكي الذي استهدف تعبئة المشاعر الدينية لمواجهة الخطر الشيوعي. كل الفصائل الإسلامية في إيران كانت ترفض ما يسمى بالإسلام الأمريكي الذي لا يقبل إلاّ إسلاما يكافح الشيوعية دون أن يصطدم بالأطماع الأمريكية والغربية. النظرة لأمريكا أنها وراء تثبيت نظام الشاه ووراء الغزو الصهيوني للمنطقة،

ووراء محاولة إغراق الشباب في المفاسد والموبقات، من هنا كانت المجابهة الشعبية تتجه إلى مثلث أمريكا –الصهيونية –الشاه.

ولقد شهدت الساحة فيما بعد أحداث انقلاب أمريكا على حلفائها القدماء من التيارات الإسلامية بعد أن استنفدت أغراضها منهم، ثم شهدت الوقوف الأمريكي الصارخ في دعم إسرائيل حتى في أشد ظروف بطشها و إرهابها.

عبارة«الشيطان الأكبر» أدخلها الإمام الخميني (رض) في أدبيات الثورة الإسلامية و إعلامها حتى أصبحت الكلمة مرادفة لأمري

* نشهد تقدّم شعبنا في مجال الارتباط بالقرآن، وهذا ما يثلج الصدرويبعث البهجة في النفوس.
* الأنس بالقرآن يوفّرالمقدمات الملازمة للتدبرفي القرآن والتفكيرفي معارفه.
* لو تدبرنا في القرآن لوجدنا فيه كل ما تحتاجه البشرية المعاصرة لحل مشاكلها.
* العزّة في ظل القرآن، ورغد العيش في ظل القرآن، والتقدم المادي والمعنوي في ظل القرآن، والأخلاق الفاظلة في ظل القرآن، والانتصارعلى الأعداء في ظل القرآن، لو أدركنا نحن المسلمين هذه الحقائق بالشكل الصحيح، وبذلنا الجهد لتحقيق هذه الأهداف فإن ذلك سيعود علينا بالنفع العميم.

الإمام الخامنئي

وجيه غارودي

الرجل الصادق مع نفسه ومع وجدانه

توفي المفكر الإسلامي الفرنسي روجيه غارودي في ١٥ حزيران (يونيو) ٢٠١٢ عن عمر يناهز ٩٨ عاماً.

يذكر أن غارودي، مفكر فرنسي مسلم، عرف بمواقفه المعادية للصهيونية والتي عانى بسببها كثيرًا في فرنسا وأوروبا، كما كان من أشد المعادين للسياسة الإسرائيلية وتحريف الغرب لصورة الإسلام.

من مؤلفاته المعروفة «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» و«المسجد مرآة الإسلام» و«فلسطين مهد الرسالات السماوية».

وولد غارودي في ١٧ يوليو ١٩١٣ لأب ملحد وأم كاثوليكية، وحصل على الدكتوراه من جامعة السوربون عن النظرية المادية في المعرفة عام ١٩٥٣، ثم الدكتوراه في الحرية من موسكو عام ١٩٥٤.

وأشهر إسلامه في ٢ يوليو عام ١٩٨٢ بالمركز الإسلامي في جنيف، ليبدأ نضاله الفكري والسياسي ضد الحركة الصهيونية العالمية ودولة الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين.

وكانت أول محطات التصادم بينه وبين الصهيونية بعد مذبحة صابرا وشاتيلا في لبنان عام ١٩٨٢، حيث نشر مقالة في صحيفة

لوموند تحت عنوان :معنى العدوان الإسرائيلي بعد مجازر لبنان.

التقيت وجيه غارودي مرة على هامش مؤتمردُعي إليه في طهران وكان بيننا البروفسور السوداني المدثرعبدالرحيم يترجم ما أقول،فقلت مخاطباً غارودي في حديث قصير: إنك كنت مخلصًا في ماركسيتك، وها أنت اليوم مخلص في إسلامك.

لم أقلها تملقًا للرجل الذي هو في موقع فكري لا يحتاج إلى ملق، بل قلتها لما قرأته في مؤلفاته عن الماركسية، وهو يناضل من أجلها بل وينظّرلها ويفلسف اتجاهاتها من قلب العالم الرأسمالي.

كل ما رآه في فرنسا وفي الغرب من مظاهرالتقدّم المادي الغربي لم يجد فيه ما يخدم الإنسان والبشرية، بل وجد فيه الحرص والجشع والطمع وضياع القيم الإنسانية، والعدوان على الشعوب، وانتهاك حرمات بلدان ما يسمى بالعالم الثالث.

لقد وجدغارودي في الغرب تبلورًا لغرورالجانب المنتصر، وروحًا عدوانية تستهين بكل ما سواه من الشعوب، فاتجه إلى الماركسية العدوة اللدود للرأسمالية المتجبّرة المتبخترة الطاغية. غيرأنه بعد جولته الفلسفية والفكرية الواسعة في هذه المدرسة لم يجد فيها ما يرضي طموحه الفطري لحياة تحقّق كرامة الإنسان، وتشبع احتياجاته المادية والمعنوية، فولّى وجهه شطرالديانة المسيحية الكاثوليكية. لكنه سرعان ما أدرك أن المسيحية قد تخلت عن أداء دورها في حياة الناس، وانحسرت في إطارالطقوس الكنسية. من هنا راح

يبحث في الأديان فاهتدى إلى الإسلام، ورأى فيه المشروع الذي يحقق طموحه، بل ويستطيع أن يحقق طموح البشرية في حياة سعيدة.

لم يكتف بإيمانه الفردي، بل أطلق من موقع إيمانه بالإسلام دعوة للحوار مع الغرب، ورأى أن الغرور الغربي يجب أن يزول وأن يتخذ الغرب من العالم الإسلامي موقف الحوار، من هنا كان أول من نادى بحوار الحضارات.

ثار الغرب عليه وأقام الدنيا ولم يقعدها، ووجّه إليه مختلف التهم، وأدرك غارودي أنّ وراء هذه التهم اللوبي الصهيوني. وهذا ما حداه أن يدرس ما تمارسه الصهيونية من أكاذيب وتزوير للحقائق.. واقترب من حقيقة كبرى وهي أن الكيان الصهيوني قد تأسس على خرافات ومنها ما يشيعه عن محرقة اليهود، فأخرج كتابه: «الخرافات المؤسسة لدولة إسرائيل» فضح فيها ما تدعيه إسرائيل من مستندات فكرية وفلسفية تتذرع بها لإثبات حقها في إقامة دولة صهيونية بأرض فلسطين.

وفُتحت عليه النار من كل جانب بتهمة معاداة السامية. وهي التهمة المفضوحة الكاذبة التي تبناها الغرب بضغط صهيوني بعد الحرب العالمية الثانية، وهزيمة ألمانيا في هذه الحرب.

والغريب أن كل عربي معادٍ للاحتلال الصهيوني أصبح بموجب ذلك معادٍ للسامية، مع أن العرب هم أصل الساميين!!

لقد نسي الغرب مع هذا الرجل ما يدعيه من قدسية حرية الفكر والبحث العلمي،فشنّ عليه حربًا شعواء، لكنه وقف وهو في أرذل العمريقاوم ويناقش ويدافع حتى توفاه الله صابرًا محتسبًا صادقًا مع نفسه ووجدانه. وجزى الله الجمهورية الإسلامية الإيرانية خيرًا، فقد كانت له خيرسند ومعين على نشر كتبه و إسماع صوته إلى العالم.

* مشكلة شعوب العالم تتمثل في أن القوى المهينمة تتبنى نظرة مادية للحياة لا مجال للمعنويات فيها. وهذه النظرة هي التي جلبت الويلات على البشرية. فالحضارة الغربية استثمرت العلوم للقضاء على حضارات الشعوب ومصادرة ثرواتها المادية والمعنوية.

* حينما لا تكون ثمة معنويات فلات ثمة أخلاق، وما يدّعونه من أخلاق فهو زائف لا حقيقة له.ربما نرى بعض القيم الأخلاقية في رواياتهم وأفلامهم، لكن الواقع خالٍ من منهج أخلاقي.

الإمام الخامنئي

اتقوا الله في العراق

اختلطت الأوراق في العراق حتى انطلت الأمورعلى بعض المخلصين، فحسبوا أن ما يجري في هذا البلد إنّما هو صراع شيعي ـ سنّي، وليس الأمر كذلك.

لقد دعانا إلى كتابة هذه السطورة مقال قصيرحبّره أخونا في الله الأستاذ الدكتورعمارالطالبي على صفحة من جريدة «البصائر» الجزائرية. و إنّما أردنا أن نخاطبه باختصارأيضًا على صفحة «ثقافة التقريب» إيمانًا منّا بإخلاصه لدينه وأمته و إخلاص الجمعية التي ينتمي إليها وهي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

إنّ قرارالاحتلال الأمريكي للعراق لم يكن قرارًا سنيًا ولا شيعيًا ولا عراقيًا، بل هو قرارأمريكي بريطاني بحت، وراءه عناصراللوبي الصهيوني، لكي يكون مقدمة لاحتلال المنطقة، ولجعل الجمهورية الإسلامية الإيرانية بين فكي كماشة الاحتلال الجاثم في أفغانستان والعراق.

الرساليون الاسلاميون في العراق ما كان أمامهم تجاه القرار الأمريكي في الاحتلال سوى أن يغتنموا فرصة زوال نظام قاتل ظالم سفّاك ليملأوا الفراغ أولاً بأنفسهم،ثم أن يمهّدوا للتخلص من الاحتلال بالتدريج.

نعم كان هناك في العراق من رحّب بالاحتلال الأمريكي

وتمنّى لو بقي جاثماً هناك بدوافع مصلحية شخصية أو بتحليلات موهومة. لكن الرساليين لم يكونوا كذلك.

هذا النفر الذي جاء على دبابات الأمريكان ليس مَنْ ذكرهم الدكتور عمّار في أسطره، و إنما هم غيرهم من الذين لايزالون يتعاونون مع الأمريكان للقضاء على كل توجّه رسالي إسلامي في العراق.

نقولها للحقيقة إن الرساليين العراقيين من الشيعة والسنّة هم أبغض الناس للطائفية، وهم يعلنون دائمًا على لسان علمائهم ومثقفيهم وسياسييهم أن الطائفية حربة يُراد بها تدمير العراق.

وأذكّر أخانا بما قاله رائد الصحوة الإسلامية المعاصرة في العراق الإمام الشهيد محمد باقر الصدر الذي خاطب العراقيين في أيام النظام الصدامي البائد:

« إن الطاغوت وأولياءه يحاولون أن يوحوا إلى أبنائنا البررة من السنة أن المسألة مسألة شيعة وسنة وليفصلوا السنة عن معركتهم الحقيقية ضد العدو المشترك.

وأريد أن أقولها لكم يا أبناء علي والحسين وأبناء أبي بكر وعمر أنّ المعركة ليست بين الشيعة والحكم السني، إن الحكم السني الذي مثّله الخلفاء الراشدون والذي كان يقوم على أساس الإسلام والعدل حمل عليّ السيف للدفاع عنه، إذ حارب جنديًا في حروب الردة تحت لواء الخليفة الأول أبي بكر وكلنا نحارب تحت راية

الإسلام مهما كان لونها المذهبي، إن الحكم السنّي الذي كان يحمل راية الإسلام قد أفتى علماء الشيعة قبل نصف قرن بوجوب الجهاد من أجله، وخرج الآلاف من الشيعة وبذلوا دمهم رخيصًا من أجل الحفاظ على راية الإسلام ومن أجل حماية الحكم السني الذي كان يقوم على أساس الإسلام».

إن التوجه الرسالي في العراق اليوم ـ مع كل ما اعتراه من ضعف بسبب انزلاق نفر من أفراده في مستنقع مصالحه الشخصية ـ يواجه حربًا طائفية شعواء، بهدف تبديل الصراع الإسلامي ـ الأمريكي في العراق الى صراع سنّي ـ شيعي.

ويكفي أن نرى من يقف وراء الطائفيين من بلدان المنطقة والبلدان الأوربية لنفهم طبيعة هذه الطائفية، فهي معول أمريكي صهيوني لإبقاء العراق في دوامة عنف مستمرة على أمل أن يستسلم أمام قوى الهيمنة العالمية التي فشلت في إبقاء قواعدها العديدة في العراق.

الرجاء من الإخوة الرساليين في العالم الإسلامي أن ينظروا بعمق إلى ما يجري في العراق، وأن لا ينجرّوا وراء الإعلام المضلل الذي لا يريد لهذه الأمة خيرًا..

إنّ ما يجري هناك هو جزء من صراع كبير يدور في المنطقة لاحتواء الصحوة الإسلامية، ولتحقيق ما يسمى بالشرق الأوسط الكبير بقيادة إسرائيل.. نحسب أن ما يريده أعداء هذه الأمة أوهامٌ لا غير.. لأن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناسِ لا يعلمون.

ضرورات الدين والمذهب
عنـد الشيعـة الامامية

محمد جواد مغنية *

أصول الاسلام

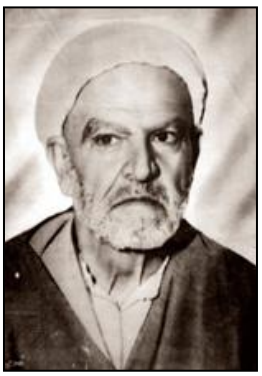

المسلم من صدَّق مقتنعًا بكل ما اعتبره الإسـلام مـن الأصـول والفـروع، والأصـول ثلاثة: التوحيد، والنبوة، والمعاد، فمن شك فـي أصـل منهـا، أو ذهـل عنـه قاصـرًا أو مقصرًا فليس بمسلم، ومن آمن بها جميعًا جازمًا فهو مسلم، سواء كان إيمانه عن نظرواجتهاد، أم عن التقليد والعدوى، على شريطة أن يكون وفق الحق والواقع.

أما ماذكره العلامة الحلي، والشهيد الثاني، وغيرهما، من وجوب الاستدلال والنظرفي الأموروالعقائد، وعدم كفاية التقليد فيهما، فإن المقصود منه التقليد الذي لا يوصل إلى الواقع، أما إذا كان سبيلًا للتصديق بالحق، فلاريب في إجزائه وكفايته، وإلالم يبق من المسلمين سوى واحد من كل مائة،ولذا قال العلامة الأنصاري في

---

*- عالم لبناني فقيد.

كتاب الفرائد: «والأقوى كفاية الجزم الحاصل من التقليد».

الكافي من التوحيد والنبوة

ويكفي من التوحيد الإيمان بوحدة الله تعالى، وقدرته وعلمه وحكمته، ولا تجب معرفة صفاته الثبوتية والسلبية بالتفصيل، ولا أنها عين ذاته أو غيرها ، ويكفي من النبوة الإيمان بأن محمدًا (صلى الله عليه وآله)، رسول من اللّه صادق فيما أخبربه معصوم في تبليغ الأحكام، فإن الرسول قد يخبرعن الشيء بصفته الدينية المحضة أي كونه رسولا مبلغًا عن اللّه تعالى،وقد يخبرعنه بصفته الشخصية، أي كونه إنسانًا من البشر، فما كان من النوع الأول، يجب التعبد به، وما كان من النوع الثاني فلا يجب.

أما التصديق والإيمان بأن النبي كان يسمع ويرى وهو نائم، كما يسمع ويرى وهو مستيقظ، وأنه يرى من خلفه كما يرى من أمامه، وأنه عالم بجميع اللغات، وأنه أول من تنشق عنه الأرض، فليس من ضرورات الدين ولا المذهب.

الكافي من المعاد

ويكفي من المعاد الاعتقاد بأن كل مكلّف يحاسب بعد الموت على ما اكتسبه في حياته، وأنه ملاق جزاء عمله، إن خيرًا فخير، و إن شرًا فشر، أما أنه كيف يحاسب العبد؟ وعلى أية صورة بالتحديد يكون ثواب المحسن، وبأي لون يعاقب المسيء؟ فلا يجب

التدين بشيء من ذلك.

فالتوحيد ، والنبوة، والمعاد دعائم ضرورية لدين الإسلام، فمن أنكر واحدًا منها، أو جهله فلا يعد مسلمًا شيعيا، ولا سنيًا.

الفروع الضرورية

أما الفروع التي هي من ضرورات الدين، فهي كل حكم اتفقت عليه المذاهب الإسلامية كافة من غير فرق بين مذهب ومذهب، كوجوب الصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، وحرمة زواج الأم والأخت، وما إلى ذلك مما لا يختلف فيه رجلان من المسلمين، فضلًا عن طائفتين منهم، فإنكار حكم من هذه الأحكام إنكار للنبوة، وتكذيب لما ثبت في دين الإسلام بالضرورة.

الفرق بين الأصول والفروع الضرورية

والفرق بين الأصول والفروع الضرورية، أن الذي لا يدين بأحد الأصول يكون خارجًا عن الإسلام ، جاهلًا كان أم غير جاهل، أما الذي لا يدين بفرع ضروري، كالصلاة والزكاة ، فإن كان ذلك مع العلم بصدوره عن الرسول(صلى الله عليه وآله) ، فهو غير مسلم، لأنه إنكار للنبوة نفسها، و إن كان جاهلًا بصدوره عن الرسالة، كما لو نشأ في بيئة بعيدة عن الإسلام والمسلمين، فلا يضر ذلك باسلاميته إذا كان مؤمنًا بكل ماجاء به الرسول، ولو على سبيل الإجمال، فالتدين بالأصول أمر لابد منه للمسلم، ولا يعذر فيها

الجاهل، أما إنكار الأحكام الفرعية الضرورية فضلًا عن الجهل بها، فلا يضر بإسلامية المسلم إلاّ مع العلم بأنها من الدين، فالإمامة ليست أصلا من أصول دين الإسلام، و إنما هي أصل لمذهب التشيع، فمنكرها مسلم إذا اعتقد بالتوحيد، والنبوة، والمعاد ، ولكنه ليس شيعيًا.

ضرورات المذهب

ضرورات المذهب عند الشيعة على نوعين: النوع الأول يعود إلى الأصول، وهي الإمامة، فيجب على كل شيعي إمامي أن يعتقد بإمامة الاثنى عشر إمامًا، ومن ترك التدين بإمامتهم عالمًا كان أم جاهلًا، واعتقد بالأصول الثلاثة، فهو عند الشيعة مسلم غير شيعي، له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، فالإمامة أصل لمذهب التشيع الذي يرجع معناه ودليله إلى حديث الثقلين «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق».

النوع الثاني من ضرورات مذهب الشيعة يرجع إلى الفروع، كنفي العول والتعصيب، ووجوب الاشهاد على الطلاق،وفتح باب الاجتهاد، وما إلى ذلك مما اختصوا به دون سائر المذاهب الإسلامية، فمن أنكر فرعًا منها مع علمه بثبوته في مذهب التشيع لم يكن شيعيًا.

ليس عند الشيعة «صحاح»

وأغتنم هذه المناسبة لألفت نظر من يحتج على الشيعة ببعض

الأحاديث الموجودة في كتبهم- ومنها الكافي، والاستبصار، والتهذيب، ومن لا يحضره الفقيه- فأقول : إن فيها الصحيح والضعيف، وأن كتب الفقه التي ألفها علماؤهم فيها الخطأ والصواب، فليس عند الشيعة كتاب يؤمنون بأن كل مافيه حق وصواب من أوله إلى آخره غير القرآن الكريم، فالأحاديث الموجودة في كتب الشيعة لا تكون حجة على مذهبهم، ولا على أي شيعي بصفته المذهبية الشيعية، و إنما يكون الحديث حجة على الشيعي الذي ثبت عنده الحديث بصفته الشخصية.

وهذه نتيجة طبيعية لفتح باب الاجتهاد لكل من له الأهلية ، فإن الاجتهاد يكون في صحة السند وضعفه، كمايكون في استخراج الحكم من آية أو رواية.

ولاأغالي إذا قلت: إن الاعتقاد بوجود الكذب والدس بين الأحاديث ضرورة من ضرورات دين الإسلام من غيرفرق بين مذهب ومذهب، حيث اتفقت على ذلك كلمة جميع المذاهب الإسلامية.

التقريب بين المذاهب الإسلامية
ودراسة علم التوحيد

عبد المتعال الصعيدي*

إذا أردنا أن نعرف حقيقة حكم الإسلام في خلاف الفرق في الأصول، وجب أن نعرف: هل هناك ما يقتضي وجود هذا الخلاف؟ لأنه إذا كان هناك ما يقتضي وجود الخلاف في الأصول، وجب أن يقبل الخلاف بين الفرق فيها، كما يقبل في الفروع، فلا يكون هناك فرق بين ما يقبل الخلاف من أصول الدين وفروعه، بل يجب أن ينظر إلى الخلاف في البابين نظرة واحدة، لأن قبول الخلاف في أحدهما دون الآخر، يكون تحكمًا غير مقبول.

وقد ذكر ابن رشد في كتاب - فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال - أن معرفة الله تعالى هي السعادة التي دعت إليها الحكمة والشريعة، وقد أمر بها كل مسلم من الطريق الذي تقتضيه طبيعته من التصديق، لأن طباع الناس في التصديق متفاضلة، فمنهم من يصدق بالبرهان، ومنهم من يصدق بالدليل الجدلي، ومنهم من يصدق بالدليل الخطابي، لأنه ليس في طبع

---

*-عالم مصري فقيد.

كل واحد منهم أكثرمن ذلك، ثم ذكرأنه لما اختصت شريعتنا بدعوة الناس من هذه الطرق الثلاث، عم التصديق بها كل إنسان، إلا من يجحدها عنادًا بلسانه، أو من لم تتقررعنده طرق الدعوة فيها إلى اللّه لإغفاله ذلك من نفسه، وخص النبي (صلى الله عليه وآله) بالبعث إلى الأحمروالأسود، لتضمن شريعته طرق الدعوة إلى اللّه تعالى، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فالحكمة إشارة إلى البرهان، والموعظة إشارة إلى الدليل الخطابي، والجدال بالتي هي أحسن إشارة إلى الدليل الجدلي.

وقد اقتضى هذا أن تختلف نصوص القرآن إلى محكم ومتشابه، كما اقتضاه نزول القرآن في أعلى درجات البلاغة، لتدخل بلاغته في إعجازه، كما يدخل غيرها من وجوه الإعجاز، ولابد في البلاغة من استعمال أساليب المجازوالاستعارة والكناية، وما إلى هذا من أساليبها، وهذه الأساليب كثيرًا ما تقتضي وجود قسم المتشابه في نصوص القرآن.

وهذا المتشابه من نصوص القرآن هو الذي اقتضى وجود الخلاف بين المسلمين في الأصول، كما يشيرإلى هذا قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُإِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾. وقد

اختلف العلماء في تأويل المتشابه، ففريق يمنعه لأنه يقف على قوله «إلا اللّٰه» فيكون مما استأثر اللّٰه بعلم تأويله، وعلى الراسخين في العلم أن يؤمنوا به من غير تأويل، وربما يشهد لهذا قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ﴾ وفريق لا يمنع التأويل لأنه يقف على قوله: (والراسخون في العلم) فيكون الراسخون في العلم ممن يعلم تأويل المتشابه، ويجوز لهم أن يذهبوا إلى تأويله إذا لم يكن قصدهم به ابتغاء الفتنة، و إرادة تفريق كلمة المسلمين، و إيقاع العداوة والخصام بينهم، و إنما يكون قصدهم الوصول إلى الحقيقة، والاجتهاد في معرفة المقصود من المتشابه.

وجمهور المسلمين الآن يذهب إلى جواز تأويل المتشابه، ويرى أنه إذا تعارض دليل النقل، ودليل العقل، وجب تأويل دليل النقل بما يوافق دليل العقل، والتأويل اجتهاد في النص، فيجب أن يباح لمن يبلغ رتبة الاجتهاد من العلماء، وأن ينظر إلى المجتهد فيه كما ينظر إلى المجتهد في الفروع، وأن يقبل الخلاف فيه كما يقبل الخلاف فيها، لأن إباحة الاجتهاد في شيء تقتضي إباحة الخلاف فيه، إذ لا يباح الاجتهاد إلا فيما لا يقين فيه بدليل نقلي أو عقلي، وعند فقد اليقين يأتي الخلاف ويتشعب الرأي، ولا يليق بسماحة الدين أن يضيق في مثل هذا الخلاف،لأنه لا يعلم فيه الحق بيقين، فيكون من التحكم الإلزام فيه برأي من الآراء، بل يكون لكل مجتهد رأيه فيه، فإن كان مصيبًا في الواقع فهو مأجور، و إن كان مخطئًا في الواقع فهو

معذور، ولا يحرم من أجر على اجتهاده، وتكون ميزة المصيب عليه أنه يؤجر أجرين: أجر على اجتهاده ، وأجر على صوابه.

وقد بلغ من تسامح القائلين بالتأويل وهم جمهور المسلمين أن ذهبوا إلى أنه لا كفر مع التأويل ولو خرق الإجماع، وقد أشار ابن رشد إلى هذا في كتابه السابق، فذكر أنه إذا كان في الشرع أشياء أجمع المسلمون على حملها على ظاهرها وأشياء أجمعوا على تأويلها، وأشياء اختلفوا فيها، فهل يجوز أن يؤدي البرهان إلى تأويل ما أجمعوا على ظاهره أو ظاهر ما أجمعوا على تأويله، ثم أجاب عن هذا بأنه لا يصح ذلك إذا ثبت الإجماع بطريق يقيني، و إذا كان ظنيًا فقد يصح، ولهذا قال الغزالي و إمام الحرمين: إنه لا يقطع بكفر من خرق الإجماع بالتأويل في أمثال هذه الأشياء.

ثم ذكر أنه مما يدل على أن الإجماع لا يثبت في النظريات بطريق يقيني كما يثبت في العمليات (الفروع) أنه لا يمكن ثبوته في مسألة ما في عصر ما إلا إذا كان ذلك العصر محصورًا عندنا، وكان علماؤه معلومين عندنا بأعيانهم وعددهم ونقل إلينا في المسألة مذهب كل واحد منهم بالتواتر، وصح عندنا اتفاقهم على أنه ليس في الشرع ظاهر وباطن، وأن العلم بكل مسألة لا يصح أن يكتم عن أحد، وأن الناس طريقهم واحد في علم الشريعة. وقد نقل عن كثير من الصدر الأول خلاف ذلك، كما نقل عن علي (رضي الله عنه) أنه قال: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكَذَّبَ اللّهّ ورسوله؟!» فكيف يتصور مع هذا إجماع في مسألة

نظرية، ونحن نعلم أنه لا يخلو عصر من علماء يرون أن في الشرع أشياء لا يصح أن يعلم حقيقتها إلا أهل التأويل، وهم العلماء الراسخون في العلم، وهذا بخلاف العمليات (الفروع) لأن الناس كلهم يرون إفشاءها لجميع الناس على السواء، فيكفي في ثبوت الإجماع فيها أن تنتشر المسألة فلا ينقل إلينا فيها خلاف.

وقد ذكر ابن تيمية أن عدم الفرق في الاجتهاد بين الأصول والفروع هو قول السلف كأبي حنيفة والشافعي والثوري والظاهري وغيرهم - منهاج السنة النبوية ج ٣ ص ٢٠ - وقد ذهب إليه بعدهم عبيد الله بن الحسن العنبري، وحجتهم في هذا أن النبي(صلى الله عليه وآله) قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، و إن أخطأ فله أجرواحد» وأي حاكم أحق بهذا من الذي يحكم على الوجود بأنه كذا أوليس كذا، وما إلى هذا من المسائل العويصة في الأصول، وهؤلاء الحكام هم العلماء الذين خصهم اللّٰه تعالى بالتأويل، والخطأ المصفوح عنه هوالخطأ الذي يقع منهم، والخطأ الذي يقع من غيرهم إثم محض، لأنه ليس من أهل التأويل مثلهم. وهذا إلى أن التصديق بالشيء من جهة الدليل القائم بالنفس اضطراري لااختياري، و إذا كان من شرط التكليف الاختيار فالمصدّق بالخطأ لشبهة عرضت له معذورإذا كان من أهل العلم.

وبهذا يكون الخطأ على قسمين: خطأ يعذرفيه من هو من أهل النظرفيما أخطأ فيه، كما يعذرالطبيب الماهرإذا أخطأ في صناعة الطب، وخطأ لا يعذرفيه أحد من الناس، فإذا وقع في مبادئ

الشريعة فهو كفر، و إذا وقع فيما بعد المبادئ فهو بدعة، وهذا الخطأ هو الذي يكون في الأمور التي تؤدي جميع أصناف الأدلة إلى معرفتها فتكون معرفتها ممكنة لجميع الناس، كالإقرار باللّٰه تعالى والنبوات والسعادة والشقاء الأخرويين، فالجاحد لها كافر معاند بلسانه دون قلبه، أو بغفلته عن معرفة دليلها، لأنه إذا كان من أهل البرهان فقد جُعل له سبيل إلى التصديق بها بالبرهان،

وان كان من أهل الموعظة فقد جعل له سبيل إلى التصديق بها بالموعظة، و إن كان من أهل الجدل فقد جعل له سبيل إلى التصديق بها بالجدل.

و إذا كان هذا شأن الخلاف في مسائل الأصول،، و إذا كانت فرقها ناجية أصابت أو أخطأت، فإنه يجب أن يكون الجدال بين هذه الفرق بالتي هي أحسن فلا يتعدى الإقناع بالدليل إلى إثارة الفرقة والخصام، ومحاولة التفريق بين المسلمين ليضعف أمرهم، ويتمكن أعداؤهم منهم ، لأن من يقصد إلى هذا لا يكون مسلمًا بل كافرًا، ومن فعله من غير قصد قد يكون آثما لأنه يضر المسلمين بفعله، ولا يصح أن يعذر فيما يضرّ به غيره.

وكذلك لا يصح أن يتعدى الجدال بين الفرق حدّ الاقناع بالدليل إلى الطعن في الدين، والحكم على المخالف بفسق أو إثم، لأنه لا فسق ولا إثم في ذلك الخلاف، بل يكون الآثم والفاسق فيه هو من يحكم على المخالف بالإثم والفسق.

وقد سنّ القرآن الكريم سنة دعوة المخالفين في الدين من

المشركين وغيرهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فأمرنا أن نجادلهم بالتي هي أحسن، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ولا شك أن الموافقين لنا في الإسلام أولى بهذه المعاملة الكريمة عند الخلاف في أمر من أمور الدين، فيجب أن يدعو بعضنا بعضًا بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجب أن يجادل بعضنا بعضًا بالتي هي أحسن حتى لا يفرق بيننا الخلاف في الرأي، ولا يثير بيننا شيئًا من العداوة والخصومة، ومن ميزة الإسلام أنه لم يجعل الخلاف بين الناس في الدين سببًا من أسباب العداوة بينهم، فلم يرض للمسلمين أن يعادوا غيرهم لمجرد الخلاف في الدين، ولهذا قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ولاشك أن فرق المسلمين أولى بالمودة فيما بينهم ، لأن الخلاف فيما بينهم لا يبلغ ما يبلغه الخلاف بينهم وبين غيرهم.

ويجب أن يكون هذا أيضًا شأن الفرق الناجية من المسلمين مع الفرقة غيرالناجية، وهي فرقة الزنادقة، والهاء في زنادقة عوض من الياء في زنديق، والزنديق فارسي معرب، كان أصله عندهم «زنده كرد» زنده : الحياة، وكرد: العمل، أي يقول بدوام الدهر، ويقال له في العربية: ملحد، ودَهري بفتح الدال.. وقال القاموس: الزنديق بالكسر من الثنوية، أوالقائل بالنوروالظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية، أو من يبطن الكفرويظهرالإسلام، وهذا المعنى الأخيرهو

الـذي يناسـب عنـدي الحـديث السـابق: «تفتـرق أمتـي علـى بضـع وسـبعين فرقـة، كلهـا فـي الجنـة إلا الزنادقـة» لأن الزنادقـة بـالمعنى الأخير يمكن أن يُعدوا من فرق المسلمين بحسب ظاهرهم، بخلاف المعاني التي قبل المعنى الأخير، والزنديق بهذا المعنى يرادف كلمة منافق، وقد ظهر المنافقون في عهد النبي(صلى الله عليه وآله)، فكان يقبل منهم ظاهرهم ويجري عليهم أحكام المسلمين، ولا يكلف نفسه التفتيش عن عقائدهم، بل كان يقول: «أمرت أن آخذ بالظاهر، واللّه يتولّى السرائر». وقد روى عدي بن الخيار أن رجلا سارَّ رسول اللّه(صلى الله عليه وآله)، فلم ندر ما سارّه حتى جهر رسول اللّه (صلى الله عليه وآله)، فإذا هو يستأذنه في قتل رجل من المنافقين، فقال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) أليس يصلي؟ قال: بلى، ولا صلاة له، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) أولئك الذين نهاني اللّه عنهم.

ولا ينافي هذا ما ورد في سورة التوبة من التشدد في أمر أولئك المنافقين، لأن هذا كان في شأن فريق منهم كان يكيد للإسلام والمسلمين، ويقوم بالتجسس عليهم لأعدائهم، ولا يكتفي بما يبطنه من الكفر، فيخون وطنه كما يخون دينه، وخيانة الدين بإبطان الكفر يمكن الإغضاء عنها في الدنيا، ولا يمكن الإغضاء عن خيانة الوطن بذلك الشكل، لأن خيانته لدينه بإبطان الكفر يعود ضررها على نفسه، وخيانته لوطنه يعود ضررها على غيره، فلا يصح أن يغضى عنها كما يغضى عن الأولى. (انتهى مقال الشيخ عبد المتعال).

مهرجان قرآني كبير
في شهر القرآن

تتواصل في هذه الأيام والليالي من هذا الشهر الفضيل نشاطات قرآنية حافلة في إطار المعرض العالمي العشرين للقرآن الكريم.

هذا المعرض الذي يضمّ أجنحة عديدة ثقافية وفنية و إرشادية وعلميّة وتوعويّة يستهدف بيان الجوانب الحياتية للقرآن ولمفاهيمه الحضارية.

وكان المعرض قد افتُتح بكلمة السيد رئيس الجمهورية الدكتور أحمدي نجاد، وكلمة السيد وزير الثقافة والارشاد الإسلامي الدكتور سيد محمد حسيني.

وجاء في كلمة السيد رئيس الجمهورية: أن الساحة العالمية شهدت سقوط المدارس المادية والأفكار الإلحادية، فالماركسية قد انهارت والرأسمالية وصلت إلى طريق مسدود، والظروف الحالية تتطلب بإلحاح أن نقدّم مفاهيم القرآن الناصعة الفطرية إلى العالم،

باعتبارها البديل الوحيد لما تحتاجه البشرية من مشروع لحياتها المعاصرة.

وفي جلسة الافتتاح هذه أكد السيد وزير الثقافة والإرشاد على عامل التقوى باعتباره الحصن الحصين الذي يستطيع أن يعبّأ أمتنا أمام ما يواجهها من تحديات. وأعلن السيد الوزير أن وزارته عازمة على تأسيس معاونية جديدة في الوزارة خاصة بالقرآن والعترة. وأشار الدكتور حسيني الى أن المؤسسات القرآنية التابعة للوزارة قد ارتفع عددها من ١٨٠ لتصل الى ١٢٠٠ مؤسسة.

كما ألقى حجة الإسلام والمسلمين حميد محمدي رئيس المعرض في جلسة الافتتاح كلمة أشار فيها إلى أننا أمام مسؤولية إعداد عشرة ملايين حافظ للقرآن الكريم، وهي المسؤولية التي ألقاها على عاتقنا الإمام الخامنئي ولابدّ أن نحققها إلى جانب نشر الثقافة القرآنية نظريًا وعمليًا في المجتمع الإيراني والعالمي.

الكتاب القرآني

في حقل الكتب التي تتناول موضوعات قرآنية مختلفة يشترك في هذا المعرض ١٨٦ ناشراً، وعدد العناوين المعروضة في حقول التفسير وعلوم القرآن ومفاهيمه يبلغ ١٩٢٠١ عنوان بينها ١٢٠٣ عناوين جديدة لكتب قرآنية نشرت في العام الماضي.

قسم الأطفال والناشئة

ولـم يفـت المعـرض أن يخصـص جناحًـا كبيـرًا للأطفـال والناشـئة ليعيشـوا من خـلال الصـوروالرسـوم والألعـاب مفـاهيم القـرآن الكـريم وقصصه. إضافة إلى إقامة مسرح دائم خلال كل أيام المعرض يتضمن مفاهيم قرآنية بأسلوب درامي.

الجانب الفني

يلفـت النظـرأكثـرمـن غيره اللوحـات الفنية القرآنية التي تخلب الألباب بجمالها وعظمـة الفنـون فيهـا، منهـا المنقوشة على الحجرأو على الخشب أو السجاد.

المحاضرات العلمية

إحدى قاعات المعرض العديدة تقام المحاضرات الجامعية، يلقيها أساتذة جامعيون.

وفي إحدى الليالي ألقى الاستاذ الدكتور محمد علي آذرشب أستاذ جامعة طهران والمستشار الدولي لوزير الثقافة والإرشاد الإسلامي محاضرة عن إعجاز القرآن، سلك فيها مسلكاً جديداً في نظرته إلى الإعجاز، إذ رأى أن إعجاز القرآن الأول هو قدرته على خلق الأمة الواحدة المتحركة نحو البناء الحضاري. وأشار إلى أن كل مفاهيم القرآن تتجه إلى جانبين:

الأول: توحيد الأمة في الفكر والعاطفة والمسير.

الثاني: دفعها نحو تكاملها المنشود، أي نحو الانتاج الحضاري.

وأضاف: إن القرآن هو الذي وحّد الأمة على مرّ العصور، ويوحّدها اليوم من مراكش حتى أقاصي الصين. بل أيضًا ويدفعها للتخلص من كل العقبات التي تقف بوجه حركتها، وهذه الصحوة الإسلامية المشهودة في العالم الإسلامي اليوم إنما هي ببركة الدفع الحضاري القرآني.

لقاء السيد وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي بالوفد الديني المصري

على هامش معرض القرآن الكريم التقى

الدكتورسيد محمد حسيني وزيرالثقافة والإرشاد الإسلامي بالوفد المصري الذي يضم علماء وقرّاء ومرشدين ومنشدين دينيين، وفي هذا اللقاء ألقى السيد الوزير كلمة رحّب فيها بالوفد، وأشارإلى مكانة مصرفي العالم الإسلامي، ودورها التاريخي في المجال العلمي والثقافي والجهادي. وأشارإلى أن ما شهدته مصرفي ثورتها المباركة و إلى وقوف إيران حكومة وشعبًا إلى جانب الشعب المصري في ثورته، كما أشارالى الخطبة التاريخية التي وجهها الإمام الخامنئي إلى الشعب المصري في أيام ثورته، وذكّرما جاء في هذه الخطبة حيث قال سماحة الإمام: إنني حين كنت أرى فترة السكون في مصرالعزيزة كنت أخاطب الشعب المصري في نفسي وأقول ما قاله الشاعرالعربي:

أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهي عليك ولاأمر

وحين تدفق هذا الشعب العظيم على ساحة التحريرفي القاهرة وفي المدن المصرية الأخرى شعرت بأن هذا الشعب خاطبني بالقول:

بلى أنا مشتاق وعندي لوعة ولكن مثلي لا يذاع له سرّ

ثم ذكرالسيد الوزيرمواقف مصرالعظيمة في الوقوف بوجه اطماع العدو الصهيوني والقوى المتجبّرة،ودورمصرفي حركة عدم الانحيازالتي سينعقد مؤتمرقمتها في طهران قريبًا.

وأشارإلى مكانة الأزهروعلماء مصرومفكريها، مشدّدًا على أن مصرستستعيد دورها بإذن الله على صعيد العالم الإسلامي والعالم أجمع.

وأكد الدكتور حسيني أن اللقاء المصري الإيراني كان يعمّ دائمًا بالخير والبركة والوحدة على العالم الإسلامي. وأن مصر كانت وحدها في ساحة النضال حين كانت إيران قاعدة للصهيونية والاستكبار، واليوم وقد عادت إيران إلى الإسلام فإنها تستطيع أن تشكل إلى جانب مصر قوّة تعيد للمسلمين عزّتهم وكرامتهم.

وأشار السيد الوزير الى ما تحقّق في إيران من قوّة ومكانه وعزّة وقال إن كل ما تحقق فهو بفضل القرآن.

ويُذكر أن كلمة السيد الوزير قوطعت مرات بالهتاف والتكبير والتصفيق.

* هدفنا ودعوتنا أن نقيم حضارة تستند إلى المعنوية و إلى الله والوحي الإلهي والهداية الإلهية. هذه الحضارة هي هدف مسيرتنا، والصحوة الإسلامية تبشّر بقرب تحقق هذا الهدف والحمد لله.

الإمام الخامنئي

حزب الله يدعو الشعوب العربية والمسلمة لنهضة شاملة إنقاذاً للمسجد

ندد حزب الله بإقحام قوات الاحتلال والمستوطنين الصهاينة للمسجد الأقصي المبارك واعتقال إمامه وطرد المعتكفين منه، داعيًا الشعوب العربية والمسلمة إلي نهضة شاملة من أجل إنقاذ المسجد الأقصى، من براثن المحتلين، وحمايته من مخاطرالمصادرة والانهياروالاستباحة. وقال حزب الله في بيان أصدره مساء أمس تعقيبًا على الجريمة الصهيونية الجديدة بحق الأقصى: 'فى أيام شهررمضان المبارك، وفيما إمام الجماعة يؤدى الصلاة والمعتكفون يؤدون صلاة قيام الليل، اقتحم جنود الاحتلال المسجد الأقصى، واعتقلوا إمام الصلاة، وطردوا المعتكفين من المسجد، تاركين للمستوطنين أن يدخلوا إلى الباحات، والقيام بحركات استفزازية غيرأخلاقية في حرم المسجد، رصدتها الكاميرات، وتألمت منها القلوب...